السنة العشرون العدد ٥ ايار ١٩٢٢

المشرق

من القصر الملكي الى دير الكرمل

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

كل الصفات الجميلة تزيد رونقاً متى زانت الملوك والامراء. لكنَّ اجملها فيهم كما في رعاياهم هي القداسة . والقداسة عبارة عن مجموع كل الفضائل بدرجة سامية تحور دون الارتقاء اليها القوى البشرية المتادة

هذا وان كانت قداسة الملوك والامراء قبل مجيء السيد المسيح على الارض من النوادر فقد اصبحت بفضل الدين الكاثوليكي من الامور الكثيرة الوقوع على توالي الاجيال. فمن قلّب صفحات تاريخ اوربة مثلًا ولاسيا في القرون الوسطى قضى العجب من كثرة القديسين والقديسات الذين شرّفوا عروش بلادهم . فلو اردنا سَرْد لسمائهم لطال بنا البحث فنكتفي بذكر اثنين من اشهرهم وهما القديس اسطفان الاوّل ملك المجر من سنة ١٠٠٠ الى سنة ١٠٣٨ وهو الذي هدى شعبهُ الى النصرانيَّة . وملك فرنسة لويس التاسع المتوفّى في تونس سنة ١٢٧٠ اثناء الحرب الصليبيَّة الثامنة التي كان حامل لوائها الشريف

واذا احصينا في عداد الملوك والامراء القديسين ليس فقط الذين صرّحت الكنيسة بقداستهم امام العالم الكاثوليكي اجمع بل ايضاً الذين امتازوا في عين معاصريهم وخلفهم بسموّ الفضائل إتّسع بنا المجال اتساعاً عجيباً وزاد عدد القديسين المتوّجين زيادة بالغة جداً . وهل ذهل القرّاء عن ملخص سيرة السلطان اليسوعي المولى محمد العباس ابن سلطان فاس المولى عبد الملك ووليّ عهده ? (المشرق ١٩٢١ ص

٢٢٠–٢٢٥) أفليست حياة هذا الامير المترهّب المترفي سنة ١٦٦٧ مزدانةً باجلّ المناقب المسيحية بل موسومة بسمة القداسة المحضة؟

ولدينا مثالٌ بديع كهذا وله مزيّة حداثة العهد ألا وهو مثال اميرة دوقية لوكسمبرغ فقد تنازلت بطلق اختيارها عن العرش وزدلت حطام العالم مع انها في ريعان الشباب ودُفنت جاهها السامي في احد اديار ايطالية · وقد شاهدت اوربة بل المعمور بتسبي الاعجاب هذا المشهد الرائع في العام الاخير

قصدنا في هذه المقالة ان نقدّم للقرّاء نموذجاً كالسابقين احتكت فيه اشعّة السناء الملكي وانوار القداسة العليا · وذلك بتلخيص سيرة الاميرة لويزة دي فرنس (Louise de France) كريمة ملك فرنسة لويس الخامس عشر التي كانت مثال المرأة الباسلة في كل ادوار حياتها المنقسمة بين قصر ابيها ودير الكرمليات في سان دني (S^t Denis) من ضواحي باريس

١ الاميرة لويزة في القصر الملكي بفرسايل

من حقائق التاريخ الراهنة التي اجمع عليها الكتبة ان بلاط فرسايل اثناء مُلك لويس الخامس عشر كان مسرحاً لانواع الفجور والتواحش بل كان الملك نفسهُ مستسلماً للشهوات مشككاً شعبه النبيل واوروبة جمعاء بسوء سيرته وانهماكه في الملذّات · على انّ الله قد متّع انظار الناس في تلك الردغة الخبيثة وبين تلك الاشواك باجل الزهور المشرقة الاكمام الفائحة العبير اذ سطعت انوار القداسة وتمّ عرفها الشهي في ذلك القصر عينه ما بين التبائح والرذائل · فانهُ تعالى كان اصطفى لخدمته وحبّه من بين مئات من الامراء الغافلين لاوامره المقدّسة نفرًا من الانفس الشريفة التقيّة في مقدمتها الملكة الفاضلة من بعلها نعني ماري لَكْشِنْسكا (Marie Leczinska) وبناتها واحداهنّ الاميرة لويزة دي فرنسة التي عليها مدار كلامنا

*

وُلدت هذه الاميرة في ١٨ تموز ١٧٣٧ وقد حباها المولى جمالاً طبيعياً يسبي الانظار ويشعُّ ضياءً على وجهها · ومن نعومة اظفارها بانت فيها مخائل النجابة والرقّة · وقد اثّرت فيها نموذجات اسمى الفضائل المسيحية الساطعة في شخص والدتها الحارّة التقوى

فانطبعت على صفحات قلبها الرقيق كالاحرف المنحوتة على الرخام تكرّ عليها الاعوام ولا تُنقص شيئاً من جلائها . وقد كتبت الاميرة بعدئذ في مذكّراتها التي سنروي بعضها في هذه المقالة بالترجمة الحرفية ما يلي : « وكثيراً ما دُهشتُ من ان الملكة استطاعت التحرّر من تأثير آرائها ومُحيطها وسلوك خطّة القداسة في وسط القصر الملكي وتتميم واجبات مقامها السامي بأمانة كاملة »

فتلك الفضيلة رضعتها الاميرة مع الحليب فحادت منذ صباها عن طريق والدها الماهر وقفت على آثار امّها القديسة في مهيَع الطهارة والبرّ . لنا شاهد على قولنا بعض المقاصد التي جعلتها دستوراً لحياتها في بلاط قرسايل الحافل بانواع الاخطار الادبيّة :

« سأُقي نفسي من العُجب فهو سمّ المراتب العالية – ومن الكسل والتفخّل . . . ومن الطيش الذي ربّما ساقتني اليه مخيّلتي القلوبة – ومن جملة ابالٍ وقاني الله منها حتى اليوم . ينبغي ان أُظهر في سلوكي لمن يحيطون بي روح الترتيب على الدوام سواء كان في رياضات التقوى المتادة او في الواجبات والاعمال الصالحة المناسبة لحالتي . اريد ان آكون دائماً لينة العود صبورة في المحن مستعدّة لتضحية ارادتي الشخصيّة بشوشة متواضعة قولاً وسلوكاً . . . اريد ان اجعل مركزي بين اعمال التقوى وان اقم واجباتي الدينية دائماً بغاية الورَع . . . اريد ان اجعل كل فرضٍ يعرضُ لي الفرضَ الجوهري وعلى هذه القاعدة آكون دافعة السدّيني نحو الله آناء الليل واطراف النهار ! »

لعمري ما اعجب واسمى تلك المقاصد في اميرة يزيّن لها عنفوان الشباب اتّباع الاهواء ويمهّد لها سبل الشهوات ما تجدهُ حولها من النموذجات الباطلة ولكنها رأت قلب والدها وقلوب بطانته حائدةً عن جادّة الفضيلة فحدا بها ذلك المشهد المحزن الى تضحية نفسها في محبّته تعالى تكفيراً عن ذنوبهم وارضاءً لجلاله . قالت في مفكّراتها : « وا لهفتاه . اني انوح امام الله اذ لا ارى حولي سوى اشخاص لا تعبأ قلوبهم بالنعم الالهية فلا يطلبون غير الخيرات الارضية »

وان سألتَ من ايّ المناهل كانت تستقي الفتاة القديسة تلك الشهامة النادرة المثال في جنسها وسنّها ومُحيطها ؟ اجيب : من المناهل المسيحية المعروفة لدى الخاصّة والعامة الّا ان القليلين والسفاء يردونها بتواتر وثبات للارتواء بزُلالها المحيي للانفس

كانت الاميرة تتناول خبز الملائكة مراراً عديدة في كنيسة القصر . وفي بعض الاعياد كانت تتقدّم الى مائدة الخلاص امام جمهور الامراء والاشراف لينالهم البنيان

الصالح . وكثيراً ما كانت تُعدّ قلبها لاستقبال الضيف الالهي بواسطة الاعتراف والندامة الشديدة على اخفّ الشوائب والنقائص . ومن المؤكّد انها كانت مضطرمة العبادة لقلب يسوع الاقدس مع ان هذه العبادة المنتشرة اليوم في كل الاصقاع لم تَكَدْ تتعدّى حينئذ دائرة نشأتها . قالت الاميرة في مذكّراتها :

« من قلب يسوع الجدير بالسجود نستقي كل النعم . ولو أننا طَمَنّا هذا القلب الالهي قلبنا ان نُرمِقهُ بالثقة والندامة . فلنَلِجْ الى خباياه الباطنة من الجرح الذي الحَتْهُ به ايدينا القاسية . لعمري ان هذا القلب لا يخفق خفقات الغضب والانتقام بل خفقات الحنو نحونا والرأفة بضعفنا والرغبة في خلاصنا . خفقات الجودة والمسامحة والرحمة »

امّا عبادة لويزة دي فرنس للعذراء المجيدة عليها السلام فكانت تضاهي السابقة بإخلاصها وحرارتها . ولا غرو فان الاميرة كانت حفيدة الملك لويس الثالث عشر الذي كرّس مملكته تكريساً رسمياً علنياً دائماً لسلطانة السماء والارض . واليك بعض نفثات قلم الاميرة التقيّة في مخاطبة امها السماوية :

« يا امي الحنون ليت لي نصيباً في حسنات ابنك الالهي وبركاتهِ بمشاركة كل رعايا هذه المملكة الموكولة بنوع خاصّ اليك ومقاسمة أُسرةٍ جُلّ مجدها انها مِلكٌ لك . كوني دائماً ابتها العذراء القديسة حامِيَتي وقدوتي في التصرُّف بحالي ومقامي . كوني سندي وملجاي في الاخطار كوني املي وعوني في سعيي لنيل السماء »

كانت الاميرة متعبّدة ايضاً للقديس ميخائيل رئيس الملائكة وشفيع فرنسة الرسمي ولأحد اعظم اجدادها القديس لويس التاسع ملك فرنسة وللقديس فرنسيس كسافاريوس مبشّر الهند واليابان بالانجيل الشريف وللقديسة تريزية ام الراهبات الكرمليات اللواتي كانت تنوي الانتظام في سلكهنّ كما سترى

ولم تكن تلك العبادات الشتّى نحو القلب الاقدس وسيدتنا العذراء ونفر من القديسين قائمةً في مجرّد العواطف الرقيقة الخشوعية التي تلوح وتتوارى كنور الشمس في الشتاء او كالسحاب الجَهام في سماء الصيف بل كانت مؤسسة على التأملات العميقة والروابط المتينة والاعتقادات الدينية الراسخة التي هيهات ان تمسّها طوارئ الزمان . كفى شاهداً عليها ما خطّته يد الاميرة الفتاة بشأن الموت وهي لم تزل في ربيع الحياة وبحبوحة العزّ . قالت ونعم القول الرائع :

« ان شرف المحتد وسموّ المقام والعزّ والفخار والامتيازات . كل ذلك سوف يتمد مني في ساعتي الاخيرة . ولن يبقى لي غير يسوع المصلوب فأجد كلَّ ثروتي في جروحهِ المقدسة . سأرنو اليها رنوَّ الثقة وأقبّلها الف مرّة بل سأختبئ فيها لأحمي نفسي ضدّ العدل الالهي واقرأ فيها كل ما عليَّ ان ارجوه من رحمة الباري »

ولم تكن تلك القداسة السامية لتدل على محيّا الاميرة نقاباً كثيفاً من السأم او الحزن او الجهومة وتميل بها الى حب الخلوة المفرط . فبعكس ذلك كانت الفتاة التقيّة تأخذ بطيبة خاطر نصيبها من كل اعياد قصر فرساي واحتفالاته بل وذات ملاهيه . كانت تشارك ابويها واخاها واخواتها وسائر الامراء والمقربين في المآدب الفاخرة وملاذّ الصيد والالعاب الرياضيّة فتحضر كلاً منها بالملابس اللائقة للمقام وتفتن جلساءها بطلاقة محيّاها وفكاهة حديثها . فقد عرفت بعقلها المتوقد ذكاء ان كل هذه الامور عاريةٌ في حدّ ذاتها عن ادنى خطيئة بل انه يمكن تقديسها وتقديمها لله بمجرد توجيهها الى خدمته وإنمائها لمجد عزّ وجلّ . وبعبارة موجزة كانت قد ادركت غزارة المعنى المكنون في آية مار بولس المرونة : « التقوى مفيدة لكل شيء »

ولم تمنع أبهةُ القصر الملكي وكثرة ملاهيه تلك الفتاة الهائمة في حبّ يسوع المصلوب من ممارسة التقشفات الصارمة تحت ستر الخفاء . فكان من عوائدها تناولُ ما لا تحبه من المآكل اكثر من غيره وعدم ايقاد النار في حجرتها في أوان البرد القارس والتسلّط على نفورها من رائحة شموع ذلك العهد المصنوعة من شحم الغنم وكانت اوانئذ الواسطة المتادة للاستنارة حتى في بلاط اعظم الملوك . ولم تكتفِ الاميرة التقية بكل تلك الآلام الاختيارية بل كانت افترضت على نفسها تلاوة الفرض الكنسي برمّته كل يوم كشأن الكهنة والرهبان . وكانت تلبس على جسمها مباشرة تحت الثياب الفاخرة الناعمة قميصاً خشناً من الصوف الغليظ . بل كثيراً ما كانت تلبس المسح نفسهُ وتجلد جسدها لقهر جماحه واخضاعه بالكلية للروح

فلا بدع ان قد عطف السيد المسيح من اعالي سمائه نحو تلك الفتاة المحلّاة على ضعف جنسها وفساد محيطها بقوة الأبطال وطهارة الملائكة . فأحبها حباً خاصاً واختارها عروساً لنفسه طالباً منها تضحية المال والجاه وكل الافراح العالمية وتكريس حياتها لمجرد حبه وخدمته في رهبنة تُعدّ اشدّ الرهبانات شظفاً

٢ الدعوة الرهبانية ودخول الاميرة في دير الكرمل

سمعت الاميرة لويزة دعوة السيد المسيح الاولى الى التجرُّد الكامل في ٧ تشرين الاول ١٧٥١ وهي ابنة اربع عشرة سنة لا غير. وكان ذلك يومَ رافقت والدتها الملكة الى دير الكرمليّات في باريس لحضور ترهّب الكونتاس دي رُوبلموند (de Rupelmonde) وهي احدى السيّدات الشريفات في قصر فرسايل. فكان لهذا المشهد شديد الوقع في نفس الفتاة الورعة. بل نوَت مذ ذاك الحين ان تتبع الكونتاس في الدير باقرب وقت قصدَها عن ذلك النزم رئيسُ الاساقفة دي بومون المشهور بقداسته وحكمته اشار عليها بتأجيل ترهُّبها لئلّا يشقّ هذا الفراق على العائلة الملكية وقد خطفت منها يدُ المنية في السنين الاخيرة اعضاء كثيرين كاخيها ولي العهد وجدّها استانسلاس ملك پولونية

فانقادت لويزة لنصيحة الحبر الجليل ومع انها شديدة النفور من الحياة العالمية صبرت عليها فوق ثماني عشرة سنة الى ان يسَّرت لها العناية الالهية تتميم مقصدها الشريف. واذا اعتبر القارئ شدَّة هُيامها بسيدها يسوع المسيح واضطرام رغبتها في الانقطاع الكلي الى خدمته لاح له كالشمس في الضحى ان ذلك الانتظار الطويل كان من اثقل المِحَن لها وانه اجلى شاهد على قوة ارادتها وثبات عزمها مع ما لقيَتْهُ من ضروب العوائق. وما سطعت فيها تلك المناقب النادرة المثال الّا لكونها وزنت دعوتها الرهبانية بميزان الفطنة والتروّي وتيقَّنت ان هذا المشروع جديرٌ باهتمامها وقد اوردت الاميرة في مذكَّراتها دواعي ترهُّبها فقالت :

«انَّ ما يحثّني على الترهُّب – فضلًا عن الوفاء عن خطاياي وذكر ما قاساهُ السيد المسيح لخلاصنا – التكفيرُ عن الخطايا ما لا مناص منهُ في العاجلة او الآجلة. والحال ان هذا التكفير اوعرُ مسلكًا في الرفاهية ولاسيا لمن هو مولع بالتمسي مثلي – ويدفعني اليه ايضًا تذكار مثَل المسيح عن الجَمَل الذي يعبر من خرم الابرة على نمط اسهل من ان يدخل الغنيُّ في ملكوت السموات – ثم فريضة التصدُّق على الفقراء التي يأمرنا بها الله لنبذل لهم كل فضالتنا. وفضالتي واسعة للغاية – واخيرًا رغبتي في اقتناء الله عز وجلّ الى ابد الابدين والتنعُّم بالتاج الذي اعدَّهُ لي في سمائهِ»

تؤيّد على هذه الغايات السامية ان كريمة الملك لويس الخامس عشر نوَت ايضًا وبنوع خاصّ في ترهُّبها التكفير عن آثام والدها العزيز المنهمك اوانئذٍ في ملاذّ

الشهوات وتضحية نفسها في سبيل خلاصهِ الابدي . ولنا برهان اكيد على ذلك في مذكراتها حيث قالت :

« أن أكونَ راهبةً كرمليّةً وان يُصبح والدي منقطعاً بكليته الى الله هذا ما يقدر المولى على انجازه بل هذا ما سوف ينجزه بنعمتهِ . آه يا ليتني اموت كرمليّةً فاترك عائلتي جمعاء على طريق السماء ! ولي الرجاء انَّ الملك اذا وقف على مقصدي سيرضى به . وهل يستطيع مشاهدة تنفيذه بدون ان يُجذَب الى الله فيتّجه اليه بنوع كامل ؟ »

ولا غرو ان الاميرة التقيّة قد وقفت حياتها على خلاص والدها وضحّت عزّها وصباها لانياضه من وهدة الشكرات . ولمّا حانت وفاة أمّها البارّة في تلك الاثناء خاطبتها هي واخواتها قبل تسليم الروح بهذه الكلمات الجميلة المؤثرة : « يا بُنيّاتي احببنَ الملك والدكنَّ . ولأني مفارقةٌ له استودعه اياكن . فأحببنَهُ كما ثبتُّ انا على حبّهِ بل احببتُهُ في الضرّاء اكثر مما في السرّاء » .

توالت على لويزة ثماني عشر سنة في الانتظار المؤلم بدون ان يفشل عزمُها او تحيد عنهُ البتّة وقد ظهر الامر خصوصاً لمّا تاقت امبراطورة النمسة ماري تارازية الشهيرة ان تعقد قِراناً بين ابنها الرابع الأرشيدوق مكسيمليان والاميرة لويزة فأوفدت الاميرَ فون كونِتش (von Kaunitz) الى قصر فرسايل للسعي في هذه المهمّة فرفضت الاميرة هذا الاقتراح رفضاً بتاتاً . ثمَّ بلغ بعد ذلك الارشيدوق المذكور اعتزال لويزة بالرهبانيّة فجرى هو ايضاً على مثالها وصار فيما بعد رئيس اساقفة كولونية في المانية

ولمّا كانت السنة ١٧٧٠ رأى السيّد دي بومون السابق الذكر انهُ لم يَعُد من مانع لاتمام لويزة قصدها وانَّ السيّد المسيح مهّد لعروسهِ الطرق المؤدّية الى دير الكرمل المحبوب . ففي ٢ شباط مثَلَ بين يدي الملك وأطلعهُ على عزم ابنتهِ لويزة التي لم تفاتح بشأنه شخصاً سواهُ مدّة الثاني عشرة سنة وذلك من الغرابة بمكان في تلك الفتاة المبتلاة بانواع البلايا . فلمّا طرق هذا الخبر مسامع لويس الخامس عشر سكب الدموع السخينة مدراراً وأجّلَ جوابه على طلب ابنته العزيزة اسبوعين . ولمّا انقضيا خطَّ لها هذه الاسطر البديعة التي يليق بكل والد ان يكتب مثلها في مثل تلك الظروف :

« إن كان ترهُّبك يا بنيّتي الحبيبة لوجه الله فقط فلا استطيع مقاومة ارادتهِ وعزمكِ ولا ريب انّكِ امعنتِ الفكر في امرك اثناء ثاني عشرة سنة مرّت على انتظاركِ . والحالة هذه فلا

اطلب منك شيئاً غير ذلك . . . ضحيتي قهرية اما ضحيتك فاختيارية والمولى سيخولكِ القوة اللازمة لحياتك الجديدة حيث لا سبيل الى التقهقر بعد دخولك فيها . أعانقكِ يا ابنتي العزيزة بحبّ صادر من صميم الفؤاد وامنحكِ بركتي « من قصر فرسايل ١٦ شباط ١٧٧٠

والدكِ لويس

فاهتزّ فؤاد الاميرة تهلّلاً عند قراءة هذه الرسالة الطافحة بأرقّ العواطف الوالدية المقرونة بالاستسلام المطلق لارادة الله وبادرت الى تتميم تلك الارادة المقدسة فدخلتْ دير الكرمليات في سان دني من ضواحي باريس في تاريخ ١١ نيسان ١٧٧٠

حدّث عن دهشة اولئك الراهبات اوانئذ ولا حرَجَ فانهُ لم يدُرْ على خَلَدهنَّ ان ابنة ملك فرنسة التي قُدّرت نفقاتُها الشخصيّة السنوية بمليون فرنك تتنازل وتعيش بينهن حتى الممات عيشة الضَّنك والشظف بالعفّة والطاعة والفقر في رهبانيّة شهيرة بتقشّفاتها فلم ترضَ رئيسة الدير بقبولها الى أن تأكدت ان دعوتها من الله وانها ثبتت على عزمها الصالح ثماني عشرة سنة مع ما احاق بها من الاخطار واخيراً انّ الملك اذن لها في الترهب

كان لدخول الاميرة لويزة في دير الكرمل رنّةُ إعجاب وأسف في كل اصقاع فرنسة بل في كل الممالك الاوربية . وفي غد ذلك اليوم المظيم انبأ لويس الخامس عشر سفراءه لدى الدول الاجنبية بهذا الحادث الجلل كما جرت العادة عند مولد او زواج او وفاة احد اعضاء العائلة الملكية . وبقي ترهُّب الاميرة مدةً طويلة احدوثة العامّة والخاصّة و كل من سمع به قضى العجب من شهامة الاميرة وطوْع نفسها ومضاء عزمها وشديد زهدها في خيرات الفانية بعد ان رتعت نحو ثلاثة وثلاثين عاماً في بحبوحة العزّ والرفاهية

وحين بلغ هذا الخبر المُفرح مسمَعَي الحبر الاعظم كليمنضُس الرابع عشر ارسل رسمهُ وبركتهُ الخاصّة الى الاميرة المترهّبة على يد سفيره في باريس وتقدَّم اليه ان يحضر إبرازَ نذورها . ثم طلب صورتها من الملك والدها و كتب اليها ما يلي : « أننا أمرنا بتكثير نسخ صورتك الكريمة لكي نُعلن لكلّ الملإ سامي فضيلتك فيُعجبوا بهذا النموذج الجدير بالاقتفاء »

الحق يقال لم تكن لويزة اوّل من ترهّب من نساء العائلة الملكية الفرنسوية بل

قد سبقتها في هذا الميدان الملكة رادُغُندة المتوفاة سنة ٥٨٧ وقد اعلنت الكنيسة قداستها – والقديسة بارتلدة زوجة كلوفيس الثاني (✝ ٦٨٠) وبَرتُودة حفيدة العاهل العظيم شرلمان – والقديسة ايزابلة اخت القديس لويس التاسع (✝ ١٢٧٠) – والقديسة جان دِفْرَنس كريمة لويس الحادي عشر منشئة راهبات البشارة (✝ ١٥٠٥) – وحنّة اخت لويس الثاني عشر . كل اولئك الملكات والاميرات زهدن في ابّهة المُلك او الامارة وانقطعن لخدمة الله في الاديار . بيد ان بنت لويس الخامس عشر هي الاولى التي ترهّبت عند الكرمليات وهذه الرهبنة في غاية الصرامة والتقشف كما لا يخفى (١

في ١٠ ايلول ١٧٧٠ جرى احتفال باهر بمناسبة اتّشاح الاميرة لويزة بالثوب الرهباني بعد ستة اشهر قضتها بالامتحان في الدير بملابسها العالمية . وكان قد التأم اوانئذ في باريس مجمع اساقفة فرنسة فارادوا كلهم حضور هذه الحفلة المؤثرة . أما الملك فانه امر بتزيين كنيسة الراهبات بافخر الزينة مما في قصره وارسل ثلاثين من ضاربي الآلات الموسيقية في ڤرسايل ليعزفوا هناك باجمل الاناشيد الدينية . وكان احد اديرة الكرمليات يحفظ كذخيرة ثمينة رداء للقديسة تِرازية مُصلحة رهبنتهن فارسلته الى سان دني لتتّزر به بنت لويس الخامس عشر في ذلك اليوم الجليل . أما الاميرة فقد لبست احد ثيابها الملكية الفاخرة المزركش بأزهار من الفضة وبعض اجزائه منسوج بخيط من الذهب . وكان شعرها وعنقها وذراعاها محلّاة بابدع الجواهر وقد احاط بها كل سيّدات بطانتها الشريفات وهي في قصر أبيها . وكنيسة دير الكرمل غصّت بجمهور الحاضرين من اساقفة واشراف وفي مقدّمتهم اعضاء العائلة الملكيّة . فالقى السيد دي لاريفيار اسقف طروى خطاباً في موضوع هذا الاحتفال المهيب . ثم تلا سفير البابا في باريس الصلوات الاحتفاليّة وطرح على الاميرة الاسئلة المعتادة بخصوص

---

١) ستّين سنة قبل ترهّب الاميرة لويزة تُوفيت راهبة كرملية اخرى طائرة الصيت نعني بها تلك التي كانت في العالم الدوقة دي لا ڤليار (de la Vallière) ومشوقة لويس الرابع عشر. فبعد ان كانت حجَر عثرة للفرنسة بتنسّكها ادهشت المنافقين حيث كفّرت ستّاً وثلاثين سنة من آثام صباها في دير الكرمليات بلبس المسح وجَلْد نفسها وممارسة غير ذلك من انواع التقشفات

دعوتها والواجبات الثقيلة المترتبة عليها في رهبنة الكرمل فاجابت راضية باتمامها

وبعد ذلك خرجت الكرملية الحديثة فقصّ شعرها الطويل الجميل وخلعت ثوبها الفاخر وكل حلاها الرائعة فدخلت ثانية الى الكنيسة في الملبس الرهباني المنسوج من صوف غليظ والحاضرون في صمت وخشوع يأخذان بمجامع القلوب. اما شديد تأثيرهم حين شاهدوا التغيير الكلي في ازياء ابنة الملك فانهُ بلغ المنتهى ولم يتمالك الذين كانوا حبسوا دموعهم الى تلك الساعة من ذرفها مدراراً فكان البكاء شاملاً لكل معايني هذا المشهد العجيب. ثم تناولت الاميرة من احدى الراهبات وهي في الكنيسة زناراً من النحاس وثوب العذراء والرداء الابيض واللثام الابيض المنحدر الى منتصف وجهها. ولما تمت ازياؤها الجديدة الفقيرة استلقت على صدرها فوق الحضيض ومدّت ذراعيها على شكل صليب وبقيت هكذا اثناء تلاوة بعض الصلوات. ثم نضحتها رئيسة الدير بالماء المقدس فانتصبت وودعت اقاربها الوداع الاخير

في ذلك اليوم الجليل قطعت بنت لويس الخامس عشر كل علائقها غير الضرورية مع القصر الملكي والعالم قطعاً كاملاً نهائياً وخطت في سبيل التجرد الكلي ووقف النفس على خدمة الله تلك الخطوة الرائعة التي لا رجوع الى الوراء من بعدها. ولا شك انها ترنمت في مساء ذلك النهار السعيد بالنشيد الروحي الذي غنته قبل بضعة اشهر في اوائل ترهبها واليك بعض فقراته الفتانة:

«اي شكرٍ أُسديك اياه يا الهي لكونك اتيتَ بي الى دارك المقدسة وامام مذابحك! هنا سأقضي ايامي من الآن فصاعداً. هنا ساسكن الى الساعة الاخيرة من حياتي. فما اعظم سعادتي! وهيهات ان يبلغ شكري ما تستحقُّ يا مولاي اذا قدمتُ لك حياتي كلها وانا تحت نير القانون المقدس الذي اعتنقتهُ؟ لماذا الاسف على ما هجرتهُ؟ انهُ لا شيءَ نسبةً الى ما اقتنيتُه يا الهي ويا كل شيءٍ لي. من الآن سيصبح الفقر ثروتي التي انال بها ملكوتك الابدي. وهل من مقابلة بين ايام قليلة مقضية في التقشف ومجدٍ لا نهاية له؟ اجل يا يسوعي اني احتضن صليبك من صميم الفؤاد. ليتني لا انفصل عنه ابداً! هبني نعمتك يا مولاي لاكون ضحيتك. يا يسوع ما احلى هذا اللقب! ارى نفسي مشرّفةً بكوني هجرت اباطيل العالم حتى أُدعى ضحيتك»

وليست هذه اقوالاً منمّقة وعواطف حارّة ليس الّا فانّ الاميرة لويزة اخرجتها الى حيّز العمل بعزم لا يني طول السبع عشرة سنة التي قضتها في دير سان دني. وقد بقي علينا القاء نظرة سريعة على هذا الدور الهامّ والاخير من تلك الحياة المزدانة باسمى الفضائل

٣ . الاميرة الراهبة في دير الكرمليات

ان اردنا امعان النظر في قداسة تلك الحياة الرهبانية فلا مندوحة من الاحاطة باطرافها واستقراء بعض اوجهها العديدة ولذلك قسمنا هذا الفصل الى ابواب موجزة

«١ قلاية الاميرة في الدير» لم تختلف البتة عما لأخواتها الكرمليات. كان اثاثها كرسياً ومقعداً صغيراً من الخشب ينوب مناب رف للكتب التقوية ثم ظرفاً للماء المقدس وصليباً وثلاث صور على ورق وشمعداناً وآنية ماء ومكنسة وساعة رملية وفراش الفقراء. تلك كانت امتعة الاخت تريزه — وهو اسمها الجديد في الرهبانية — بعد ان عاشت ثلاثة وثلاثين عاماً في قصر ملكي يغلب قصور الملوك رونقاً وتنعماً وجمالاً ! كانت بنت لويس الخامس عشر لا ترقد قبل الساعة الحادية عشرة مساء فتضطجع على فراش من القش ممدود فوق ثلاثة الواح خشبية ولا غطاء لها سوى بطّانية من الصوف الغليظ. فكثيراً ما كانت عيناها لاتكتحل غمضاً على ذلك المضجع الخشن وربما صدم رأسها الحائط بعنف في ليالي الارق. ثم تنهض من رقادها في الساعة الخامسة سحراً بعد ست ساعات راحة فقط. وكانت اختارت لنفسها احقر قلالي الدير واقلّها نوراً ودفئاً فكأنها في الشتاء مثلجة وفي الصيف اتون. وكفى شاهداً على ذلك ما كتبته الاميرة في زمهرير الشتاء :

«ان الصقيع يصيبني في الشتاء فيخيّل لي في بعض الاحيان ان اصابعي انفصلت من يديّ . . . كنت على وشك الموت لشدة الزمهرير فلسروري أني لم اتألم ابداً بقدر ما تألمت هذا الشتاء . . . لكن هل انوح على ذلك كشأن الاطفال ؟ ألا يجب علينا ان نقدم دائماً بعض التضحيات للمولى ؟ »

اما الثياب الرهبانية فكانت خشنة كغطاء الفراش الآنف الذكر. وحيث عرفت الاميرة ذلك قبل ترهبها تذرعت بحيلة ظريفة لاقتناء قميص غليظ لاحدى الكرمليات مدعية انها تريد حفظها عندها كذخيرة مقدسة. فكانت تلبسه آونة بعد اخرى تحت الثياب الفاخرة الناعمة في قصر فرسايل وذلك لتعتاد خشونته قبل الترهب ! ومع احتياطها هذا الغريب فانها تألمت كثيراً بادئ بدء من خشونة ملابس الكرمليات وحيث نسبت ذلك لتواضعها الى جماح طبعها المولع بالترف ارغمت جسمها بلبس المسح مدة فلما عاودت بعده الى لبس الصوف الاخشن ألفته ناعماً كالحرير !

لا يُتاح للكرمليّة ان يكون لها في وقت ما اكثر من ثوبٍ واحد . وبناء على ذلك لم تلبس الاميرة سوى ثلاثة ثياب طول السنين السبع عشرة التي قضتها في الدير . فكانت تداوم على لبس الواحد وتبالغ في ترقيعهِ الى ان يصير خلقاً فتحول اللياقة دون لبسهِ

﴿٢ مآكلها في الدير﴾ في الغداء والعشاء كان يوضع امامها وامام كل من اخواتها الراهبات قصعةٌ ليس فيها غير مأكولات ايام القطاعة من بقول وأرزّ وأطعمة مصنوعة من الحليب وفي بعض الاحيان قليلٌ من السمك وذلك لانه اغلى من غيره. امَّا الفطور فكان من النوادر حيث يفرض قانون الرهبنة الصوم من ١٤ ايلول الى عيد الفصح بدون ادنى انقطاع ويتضح ان تلك المدة هي نحو ثلثي العام . اما الثلث الباقي فكان يسوغ فيه تناول كسرة خبز ليس الّا من فضلات الامس . فليتأمل القارئ كم شقّ هذا التقتير الشديد على ابنة ملك فرنسة المتادة منذ ترَف بنانها على افخر الموائد . زد على ذلك انها حين ترهُّبها كانت ضعيفة البنية مُصابة بتريف الدم تكرَهُ نفسُها كثيراً من تلك المآكل كالبيض واللبنيات والسمك فتعافها كأمرّ الادوية . لكنَّ محبَّة التألم من اجل يسوع غلبت على كراهيتها الشديدة فغصبت نفسها على اكل كل الاطعمة المقدَّمة لها بدون اظهار ادنى اشمئزاز وبدون التذرع باعتلال صحّتها للحصول على المآكل المناسبة لذوقها

ولمّا علمت الراهبات بعد سنين عديدة بفرط نفورها من البيض أردن اعفاءها منهُ وابدالهُ بغيرهِ مما يلذُّ لها فاجابتهنَّ على الفور : « كلّا ثم كلّا . فاني حاربتُ ذوقي في هذا الامر مدةً سبع سنين واؤمل اني اكتسبت بعض الفوز من هذا الكفاح . فاذا مشيت الآن القهقرى فلا شك اني مغلوبة » . وقد ظهر تجرّدها واماتتها بمظهر اجلّ من ذلك حين وجّه اليها الحبر الاعظم على أثر ترهُّبها رسالةً ليعافيها من كل قوانين الرهبنة المعاكسة لصحّتها فرفضت بكل الاحترام الواجب التمتُّع بهذه النعمة دون اكتراث لتوعُّك مزاجها . وقد افضى بها قتود معيشتها على توالي السنين الى داء النقرس فهو ينتج عن فرط القتود كما يتولّد من فرط المآكل الفاخرة وقد كان هذا السبب الاخير يدعاةً الى تسميتهِ داء الملوك في لغتنا . ومما كتبهُ في هذا الصدد الى الكردينال دي برنيس ما لفظهُ : « أجل ان النقرس كثيراً ما يصيب الكرمليات

ويتسلط عليهن بسبب شظف عيشتهن فانه يؤثر في اجسامهن الضئيلة تأثير القصف على اهل العالم» .

﴿ ٣ تواضعها وفرط نفورها من كل الامتيازات ﴾ من يوم هجرت بنت لويس الخامس عشر اباطيل العالم وضحت مقامها الملكي فيه نفضت عن نفسها ادنى غبار الكبرياء . فكانت تنفر اشد النفور مما يبديه نحوها اخواتها الكرمليات من مظاهر التعظيم والتبجيل نظراً الى شرف محتدها وهي من سلالة ملكية تعاقب اعضاؤها على عرش من اعظم عروش العالم مدة ثلاثة اجيال ونيف وتربع غيرهم على ثلاثة عروش اوربية أخرى في الجيل السابع عشر . وقد افرغت ما لديها من الوسائل ليعدلن عن كل شارات اكرامهن الخاص لها

ومما كتبت في هذا الصدد : « ان الاخت ترازية لا تمتاز عن اية كرملية اخرى بسوى كونها ادنى الكل فضيلة » .

ومن الامور التي ماكانت تطيق احتمالها تسمية الراهبات لها باسم مادام (Madame) الذي كانت تلقب به في قصر ابيها وكان وقتئذ من اسمى القاب الشرف مختصاً في سلالة البوربون ببنات الملك وقرينة اخيه وبنات ولي العهد . فاستنفدت وسعها لتنفي عنها تلك التسمية الشرفية . فلم تنل بغيتها الا بعد شق النفس اذ لم تزل تلح على رئيسة الدير في ضرورة مساواتها بسائر الكرمليات حتى صدر الامر بذلك فنالت ظفراً مبيناً بعد طول الكفاح . ومن فكيه عتابها لبعض الواعظين على مدحهم لها شخصياً في مطلع العظات وفي خاتمها قولها لهم : « ان عظاتكم تذكرني بالسمك الذي لا يصلح منه للاكل سوى ما بين الرأس والذنب » .

وقد ظهر ايضاً تواضع الاميرة الترهبة في احوال اخرى . منها ان من مقتضيات قوانين الكرمليات ان لا يجلسن على الكراسي الا في الكنيسة وغرفة الاكل . اما سائر الامكنة ولاسيما القلاية فلا يسوغ لهن الجلوس فيها الا على الحضيض . فوضيت بتلك الاماتة الشديدة بنت ملك فرنسة . ثم ان الراهبات كن يجثون في الكنيسة ساعات طويلة في كثير من الايام وليس لهن سند تسند اليه اليدان او المرفقان وفي ذلك ما فيه من العناء الباهظ خصوصاً للاميرة المعتادة على رفاهية قصر فرسايل . ومع ذلك فقد جارت اخواتها الكرمليات في هذا التقشف رغماً من ممانعتهن لها لكنها كانت

تشعر في هذه الحالة بخَوْر قواها فكان يُغمى عليها حتى اضطُرَّت الى استخدام مَرْكع . وحيث لم يوجد في الدير أُرسل اليها من قصر ابيها مركعٌ من خشب السنديان الثمين وعليه شعار العائلة الملكيّة . بيد ان الاخت ترازية لم تستعمله طويلاً حيث خجلت من ضعفها وترفها فاستعانت بنعمة الله وحاولت شيئاً فشيئاً كبح جسمها فعوّدته الركوع بدون سَنَد حتى فازت بمرغوبها . وقد حُفظ ذلك المركع بصفة ذخيرة نفيسة حتى يومنا هذا وكثيراً ما يتقاطر الناس لمشاهدته

﴿ ٤ صلوات الاخت ترازية ﴾ كانت تقضي كبقية راهبات الدير سبع ساعات كل يوم في انواع الصلاة من حضور الذبيحة الالهية وتلاوة الفرض وممارسة التأمل ومناجاة الله وزيارات القربان الاقدس وتلاوة الصلوات اللفظيّة . وقد سطعت في شخصها منذ صباها العبادة الحارّة لسر القربان الجليل . وقد روى الدوق دي لُوين (de Luynes) انها في اوائل حداثتها مرّت في عربتها الملكية بكنيسة القديس روكس ورأت كاهناً خارجاً منها وحاملاً القربان ذاهباً به الى احد المحتضرين. فنزلت في الفور من عربتها وجثت على ركبتيها غير مبالية بوحل الطريق ساجدةً للاله المتلاشي في سرّ حبّه العجيب . فلابدع ان قد وجدت بعدئذ في الدير سعادتها بالاعتراف مرّتين في الاسبوع والتناول يومياً وقضاء الساعات الطوال راكعةً امام بيت القربان . وقد خطّت في مذكّراتها قولها :

«كل قوّة عروس السيد المسيح ناجمة عن التناول . فانه اقرب وآمن الطرق لها بل اقدر مُعاونيها في وجه اعدائها . لعمري ان حضور الختن الالهي ينير ويطهّر الضمير ويشرح الصدر وينفي منهُ عَدْوى الحزن والوساوس الباطلة فيمهّد الطريق لتسلّط الحب والثقة وحدهما عليه »

ومعلوم انّ الله كثيرًا ما يغمر عبيدهُ ذلك الوقت الطويل بالتعزيات الروحية اللذيذة ويمتّعها بسعادة الاختطافات التي تفوق على كل افراح العالم وسروره الباطل . لكن الباري عزّ وجلّ لم يُرد ان ينعم على الاخت تريزة بتلك النعم التي لايقوم فيها جوهر القداسة المتوقفة على حبه تعالى فوق كل شيء وبذل النفس والنفيس في سبيل الخضوع لاوامره ونواهيه . فقد اقرّت هي نفسها بكونها محرومةً في الرياضات التقوية من عذوبة التسليات السماوية. فلا تصادف هناك سوى الجفاف الروحي في غالب الاحيان . ولا بدع في ذلك فهي تجربة طالما جرّب الله بها اعظم اوليائه بل

هو مأزق حرج ولج سيدنا يسوع المسيح ضيقهُ وظلمته اثناء صلاتهِ في بستان الزيتون

﴿٥ بقية اعمال الاخت ترازية﴾ خارجاً عن مواعيد الصلاة كانت الاميرة لا تكفّ عن العمل في ما يؤول الى مصلحة الدير وهي القائلة : «دعوتي قائمة في الصلاة والعمل فلو أخلدتُ الى البطالة ولو هنيهةً لعدمتُ جوهر الراهبة الكرملية». والحالة هذه كانت دائبةً على الشغل آناء الليل واطراف النهار لا تستنكف من اشقّ الاعمال وادناها كالخياطة البسيطة وخدمة المائدة وتهيئة المصابيح وتكنيس الدير والعناية بجُنَيْنتهِ وحراسة البقرات ومَخْض لبنها لاستخراج زبدتهِ وغسل الثياب ونشرها للتجفيف وقطف الكرم في اوانه والمساعدة في المطبخ والقيام بالوفاهة الى غير ذلك مما اعتادتهُ راهبات الاديرة

وقد امتازت الاخت تريزة بعنايتها الخاصة بالمريضات من اخواتها الراهبات فكانت تعودهنَّ بتواتر وترتّب مضاجعهن وتقدّم لهن بطيبة خاطر أوضع الخدم. وقد اتفق ان احدى العليلات عافت دواء كريهاً وأبت شربهُ فعند ذلك تناولت الاخت تريزة كاس المرارة ورشفت نصفه فاحمرّ وجه المريضة خجلاً من جُبنها وجرعت الباقي . وعالجت الاميرة القديسة قروح احدى رفيقاتها وضمّدتها مدة عامين كاملين ولم يعلم احد بذلك التفاني العجيب سوى العالم باسرار القلوب. ثم استأثرت بخدمة راهبة عمياء مثقلة بالعاهات بالغة من العمر احدى وتسعين سنة فكانت تغسل وجهها وتُلبسها ثيابها وتُلقمها الطعام بل تطيّب قروحها الكريهة وتقبّلها برأفة الام الرؤوم على اعزّ اولادها . تلك بعض الامثلة على ما انكبّت عليه مدة سبع عشرة سنة من اعمال الرحمة

وقد عُهدت اليها عدّة اعمال ذات شأن كالوكالة على املاك الدير وضبط مدخولهِ ونفقاتهِ وتثقيف الراهبات المبتدئات ووقع عليها الاختيار لرئاسة الدير مرّتين المرّة الاولى ثلاثة اعوام بعد ترهّبها من ١٧٧٣ الى ١٧٧٦ والثانية من ١٧٨٦ الى وفاتها الواقعة في ١٧٨٧ . وقد قامت بكل هذه الاعباء الخطيرة بنشاط واهليّة يُقضى منها العجب وذلك مع توعّك صحتها وثقل وطأة بعض امراضها كالنقرس المذكور آنفاً . فأدّت لديرها خدماً خلّدت ذكرها وصيت فضائلها حتى يومنا هذا

﴿٦ اهتداء ابيها الملك لويس الخامس عشر بفضل صلواتها وتضحياتها﴾ قد سبق لنا القول انّ من اخصّ الدواعي التي حملت الاميرة لويزة على الترهّب التماسَ اهتداء

ابيها العزيز وعودته الى سبيل الفضيلة والدين. وكان قد طفح كيل آثام والدها التعيس في السنة السابقة لدخولها الدير حيث استدعى الى قصر ڤرسايل احدى معشوقاته مادام دو باري وقدّمها رسمياً لبطانته وعلية اهل بلاطه

على انّ هذا الاب الحنون مع عيشته الخلاعيّة كان يزور ابنتهُ العزيزة في ديرها من وقت الى آخر. وكان يأخذهُ العجب من سرورها وانشراح صدرها فقال لها يوماً :• لا ادري كيف انتِ سعيدة الى هذا الحدّ مع شظف معيشتكِ• فاجابته بسذاجة :• حقًّا يا ابتاه ان سعدي لا مزيد عليه . حياتي شاقّة بدون مراء لكنّ سلوتي عظيمة حين اذكر اني انا هنا لخلاص نفس الذين احبّهم • فكان جوابها اوفر برهان على حب ابنته له وفهم انّ إقدامها على احتمال كل تقشفات الرهبنة الكرملية كان كفّارةً عن جرائمهِ واستمطارًا لرحمة الله عليه

وكانت تجيب مَن عاتبها على فرط إماتتها الاختياريّة بقولها والدموع مترقرقة على وجنتيها :• تأملي يا عزيزتي مصير والدي الملك ان ادركتهُ المنيّة في سوء حالتهِ وتذكري اني جئت الى هنا من اجل خلاصه وخلاصي على وجه المساواة واحكمي بعد ذلك هل استطيع ان اتعدّى حدود الاعتدال في سعيي وراء صالح نفس احبّها بهذا المقدار • فلله من محرقةٍ نقيةٍ صعد الى عرش العزّة الصمدانية عرفُ قتارها وحظي عند الله بتمام القبول واليك بيان ذلك ببعض التفاصيل

بقي لويس الخامس عشر عبدًا لشهوته مُعرضاً عن خدمتهِ تعالى وحفظ وصاياه الى اواخر حياته بحيث كادت ابنته الحزينة تقطع الامل من اهتدائه. وكان سابقاً قبل ترهّبها اذ حاول داميان الاثيم قتلهُ سنة ١٧٥٧ فكاد يُودي بحياته استدعى الكاهن من فوره تائباً لكنّ مقاصده الصالحة زالت قليلًا بعد ذلك بزوال خطر الموت فعاد الى حياته الذميمة السابقة

فلمّا كانت السنة ١٧٧٤ نحو اربعة اعوام بعد ترهب ابنته أُصيب الملك بالجدري اصابةً شديدة ابعدت عنهُ كلّ اهل بطانته وفي مقدمتهم معشوقته مادام دو باري الآنفة الذكر فرارًا من العدوى . فلم يبقَ لخدمتهِ وتلطيف بَلواه سوى بناتهِ الثلاث فلازمن فراشهُ صباحَ مساء دون ان يلتفتنَ الى مخافة بَليتهن واشارة الاطباء وشدة سريان هذا الداء. وقد توفي احدهم المسمى دي ليتوريار لانه فتح باب غرفة الملك

قليلًا للنظر الى العليل مدة دقيقتين ليس الّا

امّا بنت الملك الرابعة المترهّبة فانها بقيت حينذاك ساجدةً في ديرها امام القربان الاقدس تذرف الدموع الحارّة وتفيض الصلوات الخاشعة من اجل خلاص ابيها الابدي. وكان سُعاة قصر فرسايل يأتونها كل ساعتين بالاخبار عن المريض في الليل والنهار وهي مُدمنة على التضرع والاسترحام عند مذبح حمَل الله الحامل خطايا العالم. وقد ارسلت الى والدها المُدنف صليب نذورها الرهبانيّة بَيد ان ذلك الخاطئ العظيم لم يفكّر في امر الابديّة وكان المقرَّبون اليه لا يكترثون لهذا الامر مطلقاً بل توعّد الدوق دي ريشليو خوري فرسايل بالقائه من احدى نوافذ القصر على الحضيض ان تجاسر ونبّه الملك على قبول الاسرار الاخيرة

على ان رئيس اساقفة باريس دي بومون والكردينال روش أيمون حظيا بمقابلة الملك في ٤ ايار أي شهراً ويومين بعد اعتلاله فوفّقها الباريُ الى اقناعه بضرورة إبعاد معشوقتهِ مادام دو باري ان اراد نيل الصفح عن آثامهِ قبل المثول امام الديّان الرهيب. فامر باخراج الزانية من القصر في اليوم التالي وباحضار الكاهن فاعترف له بخطاياه. وفي يوم الجمعة الموافق ٦ ايار تناول الزاد الاخير وبناته جاثيات حول فراشهِ. ولمّا رأى حُقّة القربان أزاح عن جسدهِ اللحاف وهمّ بالسجود على مضجعه للاله المختفي تحت الاعراض السريّة واذ حاول الحضور مَنعهُ هتف قائلاً: «حين يشرّف الاله العظيم خليقةً حقيرة مثلي فأقلّ ما ينبغي عليّ ان استقبلهُ بالتبجيل». وبعد مناولة الملك تلا الكردينال الذي ناوله جسد الرب التصريح الآتي بالنيابة عن المريض: «انّ جلالة الملك ولوانه غير ملتزم بتأدية الحساب عن سلوكه لسوى ربّه فانه يجاهر بكونهِ نادماً على تشكيك رعاياه بسوء سيرته وعازماً على ان يقضي ما بقي من حياته لخير الديانة ورفاهية شعبه». ولمّا تلفظ الكردينال بلفظة «نادم» رفع لويس رأسهُ عن وسادتهِ هاتفاً: «أعِدْ سيّدي قراءة هذه الكلمة بصوت جهور» ويذكّرنا هذا الحادثُ المؤثّر آخر قولٍ فاه به ابو جدّه المغفور لـه لويس الرابع عشر الباذخ المجد والمنيب الى ربّه بين آلام احتضارهِ البالغة: «أوَدّ لو اني اقاسي اكثر من ذلك... فاقبل توبتي ايها الاله العظيم!» فكانت ندامة خلفه نصوحاً ايضاً حتى الرمق الاخير فلم يزل يبتهل الى المولى ويطلب الماء المقدّس ويلثم صليب ابنتهِ الكرمليّة في نزاعهِ

الهائل. الى ان لقي ربَّهُ تائباً في ١٠ أيار ١٧٧٤

وفي غد وفاته كتب حفيدهُ ووريث تاجهِ لويس السادس عشر الى الاخت ترازية: «نِلْنا وافر التعزية لِما اسبغهُ الله من النعم على والدكِ فقد فاضت روحهُ وهو قابض على الصليب يتلو بنفسهِ الصلوات». فحدِّث عن فرح تلك الابنة النبيلة التي ضحّت نفسها من اجل خلاص ابيها المصرّ على خطاياه فقضت السنين العديدة في الصلوات الحارّة والتقشفات الصارمة لنيل تلك النعم النفيسة حتى استجاب الله صلاتها

﴿ ٧ وفاة الاخت ترازية ﴾ عاشت بنت لويس الخامس عشر ثلاث عشرة سنة في سان دني بعد موت ابيها العزيز. ويُؤخذ عن اوثق المصادر انها قضت نحبها تسمّماً. وهاك بياناً موجزاً لذلك الامر الغريب. كان اعداء النظام الملكي في ذلك العهد ينسبون على غير صواب نفوذاً شديداً للراهبات الكرمليات في ادارة شؤون المملكة ولاسيما من بعد ترهّب الاميرة لويزة وارتقائها الى رئاسة ديرها. فهمّوا بقتلها غيلةً وانفذوا اليها احد مشايعيهم ليسلّمها حزمةً كُتِب عليها «ذخائر مقدسة» فوجدت في داخلها خصلة شعر نُثر عليها مسحوق ابيض. فتشمّمتهُ لتقف على ماهيتهِ وهي لا تدري انها تتنشّق السمّ الزعاف وبقيت مرتابةً بامرهِ بضع ساعات حتّى رجحت انه سمٌّ ناقع اذ احسّت برهةً بعد استنشاقه ببعض الاضطراب في جسمها. ولم يمضِ قليلٌ حتى انتفخ بدنها بنوع هائل وشعرت بأحدّ الاوجاع فاستُدعي طبيب الدير الدكتور أوراي (O'Reilly) ووصف لها علاج الفصاد لاخراج الدم المتسمم. فقُصدت ثم عاودت حياتها النشيطة الباهرة التقشف لكنّ السمّ لم يزل يؤثّر فيها فقطعت املها من الحياة كما اشعرت بذلك في كتاب ارسلتهُ في ٢١ ك ١ ١٧٨٧ الى الملك لويس السادس عشر كتبت على غلافهِ: «الى مولاي وابن اخي كي يُعطى له بعد موتي» وبعد رسالتها بيومين انتقلت الى رحمة مولاها في صباح ٢٣ كانون الاول ١٧٨٧. وقد اقتبلت مسحة المرضى والزاد الاخير في عشية ذلك اليوم ثم قالت للكاهن بتواضعها العجيب: «ارجوك ان تستغفر باسمي جماعة الراهبات من كل غمّ سبّبتهُ لهنّ بعدم ترتيب سلوكي وبجُبني وسائر عيوبي.» ومن آخر اقوالها ما حرفه:

«كنت اظنّ ان الرحمان قد ابقى لي مطهراً مديدة فانظرنَ يا اخواتي كيف انتهت من فيض رحمته. اني واثقة بانه سيمنحني فردوسهُ! فيا لعظم سعادتي! لا لعمري ما كان في وسعي الاعتقاد ان الموت سعيدٌ بهذا المقدار!»

وتوًّا بعد وفاتها ظهر مفعول السم ظهورًا جليًّا فقد اسودّ وجهها سريعـاً وتشوّه تشوّهاً عظيماً الجأ الراهبات الى عدم عرضها في كنيستهنَّ مكشوفة الوجه وفقاً لجاري عادتهن عند موت احدى الرئيسات. فالتزمن وضع جثتها في التابوت مباشرةً وكأنّ الربّ لبّى دعوتها وحقّق دعاءها اذ وجدوا في مفكّراتها ما حرفهُ :

«وحين افكّر في ان جسمي سيُعرض للانظار بعد وفاتي اتوسل الى الله ان يشوّهه بحيث لا يميل احد الى النظر اليه او يدعو الغير الى نظرهِ»

وكانت قُبَيل انتقالها من الفانية الى الباقية قد أسرَّت الى نفرٍ من الكرمليات اخواتها امر السمّ الماضر لقصف حياتها في لمحة عين بيد انها الزمتهن ان يُقسمن بحفظ ذلك السرّ في طي الكتمان فبقي مكتوماً الى السنة ١٨٧٠ حيث صرَّحن بواقعة الامر في نشرة لهنّ نشرتها بمصادقة كثير من الاساقفة

ثمّ دُفنت السيدة الموقّرة القديسة في نفس ديرها وحُفر على قبرها التأبين الجميل الآتي :

«هنا يرقد جثة امّنا المحترمة ترازية وهي لويزة ماري دي فرنس بنت الملك المسيحي للغاية لويس الخامس عشر ورئيسة هذا الدير – ان تضحيتها تُشرّف الدين وشجاعتها تبرهن على ايمانها وشرف محتدها يزيد سمو تواضعها وغيرتها على حفظ القوانين . . . »

ولا يسعنا ختم سيرة الاخت ترازية بدون ذكر مدح رئيس اساقفة باريس لها في احدى عظاته اثناء الصوم الاربعيني بضعة اشهر بعد موتها . قال ذلك الخطيب المفوّه :

« ما بين الشرور المنهالة علينا من كل صوب يظهر ان الجودة الالهية هيأت لنا تعزيةً في فضائل تلك العذراء الجليلة التي عرضت للعالم بأسره نموذج تضحيتها الفائقة السخاء . وقد ثبتت عليها حتى الرمق الاخير بعزيمةٍ وشهامة نفس عجيبتين بينما كانت اخواتها الجليلات يثبتنَ بمثالهن إمكان ممارسة الفضائل المسيحية حتى في بحبوحة ملاهي القصور وشرفاتها . يا لله يا اخوتي الاعزاء. ما اجمل مشهد سليلة ملوكٍ كثيرين بنت لويس الخامس عشر عمّة لويس السادس عشر الاميرة التي نشأت بين افخر الملاذّ في اسنى قصور العالم فاعتنقت بعد ذلك بمزيد الفرح عار المسيح المقدّس ومارست باشدّ التدقيق كل واجبات احدى الرهبانيات الاشدّ صرامةً في الكنيسة الكاثوليكية ! يا له مشهدًا فتّانًا اوقفنا على لويزة دي فرنس اذ كانت لا تمتاز عن رفيقاتها الّا بتواضع اشدّ فادركت بالتجرّد الكمال الانجيلي بقدر ما تستطيع البلوغ اليه نفسٌ في حالة النعمة»

حاشا لنا ان نزيد شيئاً على هذا التأبين الفصيح الصادر من رئيس اساقفة باريس قليلًا بعد وفاة الاخت ترازية . على انّ رائحة قداستها التي دعاها القديس بولس رائحة

المسيح الطيبة قد تعدّت حدود دير سان دني بل تخوم فرنسة على اتساع هذا القُطر . فانتشر نسيم سمعتها الحسنة في كل انحاء العالم ولاسيما في كل اقطار الكثلكة الكاثوليكية والدة القديسين ومهذبتهم على توالي الاجيال. فحدا ذلك الصيت العجيب أُولي الامر في رومة العظمى الى اجراء التحقيقات الدقيقة الطويلة بشأن سيرة خادمة الله. ولما اتّضح بعد فحص المستندات العديدة واستنطاق الشهود الثقات سمو فضائلها واحدةً فواحدة أعلن قداسة البابا بيوس التاسع هذه النتيجة في ١٤ حزيران سنة ١٨٧٣ ومنح الاخت ترازية الكرمليّة لقب مكرَّمةٍ وفقًا لعوائد الكنيسة في هذا الصدد

وقد استؤنفت التحقيقات في عاصمة الكثلكة وقاعدة فرنسة بقصد ادراج بنت لويس الخامس عشر في سجلّ القديسين. قرّب الله هذا اليوم السعيد ونفعنا بشفاعة أَمته القديسة وكثّر من امثالها في العائلات الملكية والأُسر الشريفة بجيلنا هذا الشديد الاحتياج ليس فقط الى تعلّم طرق الكمال المسيحي على يد المثقفين والمرقّين والوعّاظ بل خصوصاً الى مشاهدتها متجسّمة حيّة قائمة في شخص القديسين

الموافقة بين متى ولوقا

في روايتهما

نسب يسوع المسيح

لحضرة الاب انطون صالحاني

انّ من يطالع نسب السيّد المسيح كما ورد في انجيل القديس متى (١ : ١-١٦) متسلسلًا من ابرهيم الى داود الملك ومنهُ الى يوسف البتول رجل مريم العذراء المولود منها يسوع المسيح. ثم يُقابلهُ بانجيل القديس لوقا (٣ : ٢٣-٣٨) حيث يرتقي نسب المسيح من يوسف البتول الى داود ومنهُ الى ابراهيم ثمّ الآباء الى آدم ثمّ الله خالقهِ يأخذه العجب لما يجده من الفرق بين النسبَين كليهما وهذا الفرق لايوجد فقط في عدد الاجداد المذكورين فيهما لكن ايضاً في اختلاف اسماء كثير منهم

ان نسب المسيح من ابراهيم الى داود الملك لايختلف في انجيل متى وانجيل لوقا . أمّا في ما يلي من داود الملك الى المسيح فلا يتّفق النسبان الّا في ثلاثة اسماء فقط هي شألتئيل وزَرُبّابل ويوسف خطيب مريم العذراء . ثم من داود الملك الى المسيح لا يذكر متى الّا ٢٦ جيلًا بينما يذكر لوقا ٤١ جيلًا

فما هو سبب هذا الفرق في الكتب المنزلة وكيف يعلّل هذا الاختلاف في نسب شخصٍ واحد ذائع الشهرة وثابت الاصل في كلّ اسرائيل اعني السيّد المسيح مخلّص العالم ومنتظَر الشعوب

نجيب باديءَ بدءٍ ونقول لا يُمكن الظنّ بان متى ولوقا اخطأا في ما كتبا عن نسب المسيح او انّهما اختلقاه . فالانساب لا تُختلق بل تُقتبس من مصادرها ولو وُجد هناك في النسبين اختلاف جوهري لمَا سكت عنهُ اليهود لمَّا وقفوا على انجيلي متى ولوقا ولا اثر لاعتراضهم عليهما . فلا شكّ في انّ متى ولوقا عند كتابة انجيلها استندا في ايراد نسب المسيح الى السجلات الرسمية والخصوصية المحفوظة في العيال . اذ ان الشعوب الساميّة والعبرانيين خاصةً كانوا يهتمون اهتماماً عظيماً بحفظ انساب عيالهم لِما يترتّب على ذلك من صيانة حقوق املاكهم ولِما كانت تأملهُ العيال الاسرائيلية من الشرف بولادة المسيح من نسلها

نجيب ثانياً ان نسب المسيح مقتبس كلّهُ من الاسفار المقدسة أعني اولًا من الانجيل اي من المصادر التي كانت بين ايدي الانجيليين ثمّ من اسفار العهد القديم اي من سفر أخبار الأيام وسفر الملوك وسفر راعوث وسفر العدد وسفر التكوين . الّا ان هذا النسب في اي جزءٍ كان من اجزائهِ هو غير كامل ولا يستوفي كل السَلف . والسبب في ذلك ان كتبة الاسفار المقدسة في نسب اي شخصٍ كان لم تكن غايتهم ان يوردوه تامًّا بتعداد جميع الاجداد الذين سبقوه بل كان مرادهم فقط ان يربطوه بأحد أسلافه الاماجد ويُرقوه الى اصل مشهور . فيضربون صفحاً عند ذكر سلسلة آبائه عن كثيرٍ من الحلقات التي تربطه بهذا الاصل ويكتفون بايراد بعض الحلقات الاكثر شهرةً وذلك طبقاً لمرادهم وكثيراً ما يتصرّف هكذا مؤرّخو العرب

نقول ثالثاً انه بمقتضى وعد الله كان من اللازم ان يولد المسيح من نسل داود الملك ومن نسل ابرهيم خليل الله . وهذا كان اعتقاد اليهود عموماً ورجاءهم الوطيد .

يتضح ذلك من آيات الاناجيل العديدة . فلمّا شفى مثلًا يسوع الاعمى الاخرس «دَهش الجموع كلُّهم وقالوا: «لعلّ هذا هو المسيح ابن داود» (متى ١٢: ٢٣) . ويظهر ايضاً من جواب الفرّيسيين فانهم اذ «سألهم يسوع قائلًا : ماذا تظنّون في المسيح ابن مَن هو ؟ قالوا له : ابن داود» (متى ٢٢: ٤٢) . ومن هُتاف الشعب عند دخول يسوع الى اورشليم فانهم صرخوا قائلين «مباركة مملكة ابينا داود الآتية» (مرقس ١١: ١٠) . وقد بيّن هذه الحقيقة القديس متى اذ قال في بدء انجيله (١: ١) : «كتاب ميلاد يسوع ابن داود ابن ابرهيم» . وكذلك صنع القديس لوقا في انجيله

ولكن ما سبب الفرق الموجود بين الجدولين في ايراد أسلاف المسيح

قد ذهب العلماء ومفسّرو الكتاب المقدس الى ثلاثة آراء ليحلّوا هذا الفرق ويبيّنوا سبب هذا الاختلاف فها نحن نوردها حسباً لهذا الشكل

﴿ الرأي الاول ﴾ هو ان يوسف البتول كان له نسبان الواحد طبيعي والآخر شرعي . وذلك ان يعقوب الذي ولد يوسف خطيب مريم العذراء كان بعد ما توفّي اخوه إيلي او هالي[١] تزوّج امرأتَهُ عملًا بما أمر الله به في الناموس «اذا اقام أخوان معاً ثم مات احدهما وليس له عَقِبٌ فلا تَصِرْ زوجةُ الميتِ الى خارجٍ لرجل اجنبيّ بل اخوه يدخل عليها ويتخذها زوجةً له ويُقيم عقباً لأخيه . ويكون البكر الذي تلدهُ منه هو الذي يخلف اسم اخيه الميت فلا يندرس اسمه من اسرائيل» (تثنية الاشتراع ٢٥: ٥ و ٦ ومتى ٢٢: ٢٥ و ٢٦) . وعليه فقد كان ليوسف نسبان احدهما طبيعي والآخر شرعي لانه كان ابنَ إيلي بحسب الناموس وابنَ يعقوب بحسب الطبيعة . فذكر متى نسبه الطبيعي ولوقا نسبه الشرعي

﴿ الرأي الثاني ﴾ الذي فضّلهُ بعض المفسّرين للكتاب المقدّس لتعليل الفرق الموجود بين متى ولوقا في نسب المسيح يتوقّف على قولهم ان متى اورد نسبه بواسطة يوسف فيرتقي الى داود في الخطّ المستقيم بواسطة سليمان بن داود . امّا لوقا فقد اوردهُ بواسطة مريم العذراء فيرتقي الى داود في الخط المنحرف بواسطة ناثان بن

١) اسم إيلي المذكور هنا تختلف صورتهُ في نسخ الاناجيل فمنها ما يرويه هالي كما ورد في طبعتنا البيروتية ومنها ما يدعوهُ هالي بالهاء كما ذُكر في الطبعة الاميركانية ونسخٍ كثيرة غيرها والمقصود واحد طبقاً للفظ اليوناني (Ἡλεί) فالهاء عبارة عن النبرة الموافقة لحرف الاول H

داود. ويؤيد هؤلاء العلماء رأيهم هذا بقولهم اولاً: بعد ان كسر لوقا الحلقة الاولى من السلسلة التي تربط يسوع بيوسف ونفى كون يوسف اباً طبيعياً ليسوع بهذه الآية «وهو على ما كان يُظنّ ابن يوسف» (لوقا ٣: ٢٣) أيُصدَّق انه عاد فسلسلهُ من داود بواسطة يوسف الذي لم يكن أباه. فينكرون ذلك. ويستنتجون ان لوقا سلسل يسوع من داود بواسطة امّه مريم العذراء. (١

يقولون ثانياً: لا مانع من ان يكون لوقا اورد نسب يسوع بواسطة مريم امّه وخالف عادة اليهود في عدم ذكر نسب النساء. ويؤيدون قولهم بأمثلة من الكتاب المقدس. فان متى الانجيلي ذكر في نسب المسيح اربع نساء هنَّ تامار وبتشابع وراحاب وراعوت. ولوقا نفسه ذكر نسب إليصابات بقوله (١: ٥) انها «من بنات هرون» ونسب «حنة النبية ابنة فنوئيل من سبط اشير» (لوقا ٢: ٣٦). وكذلك ورد نسب يهوديت مسلسلاً الى راوبين (٢. فلا مانع اذاً من ان يكون لوقا سلسل يسوع المسيح من الملك داود بواسطة العذراء.

يقولون ثالثاً: ان كثيراً من نُسخ انجيل لوقا الخطّية وأقدمها عهداً كالنسخة الواتيكانية ونسخة طورسينا اوردت آية لوقا (٣: ٢٣) هكذا «وهو [اي يسوع] اذ كان يُظنّ ابن يوسف كان ابن إيلي». ولا يُفهم بالعبارة «ابن إيلي» ان إيلي ولَدَهُ بل لان يسوع كان من نسل إيلي اي ابن ابنته مريم العذراء. كما ان العبارة «آدم ابن الله» (٣: ٣٨) لا يُراد بها ان الله ولدَ آدم من جوهره تعالى مع كون التعبير اليوناني واحداً في الجميع بل ان ادم ابن الله لانّ الله خلقهُ من العدم. والرأي ان إيلي كان اباً لمريم العذراء هو رأي مقبول. لانه يقتضي تقليد مدوّن في تلمود اورشليم كان اسم والد مريم العذراء إيلي. ولا يخفى ان ايلي مجتزأ من إلياقيم. والاسم إلياقيم هو ذات الاسم يوياقيم بدليل ما ورد في سفر يهوديت حيث اسم الكاهن العظيم

---

١) فعلى هذا نجيب: يكفي ان يكون يوسف أباً شرعياً ليسوع لكي يجوز ان يسلسله لوقا من داود بواسطة يوسف. خاصةً لانه لم يكن من عادة اليهود ان يذكروا نسب النساء.

٢) ثم ان سفر يهوديت عند ايراد نسب هذه المرأة الباسلة اغفل ذكر كثير من آبائها واكتفى بذكر البعض. لانه بين يهوديت وراوبين مضى نحو الف ومائة سنة وفي هذه الحقبة من الزمان لم يذكر الكتاب من الاجداد ليهوديت الا اربعة عشر. بينما في مثل هذه المدّة جلس على عرش مملكة فرنسة ٦٦ ملكاً. فتأمل!

يوياقيم يرد تارةً بلفظ يوياقيم (يهوديت ١٥ : ٩) وتارة إلياقيم (يهوديت ٤ : ٥ و٧ و١١) (١ ولا عجب في ذلك لانّ الهجاء الاول في كلا الاسمين «ايل» او «يو» (عوض يهوه) هو اسم الله. فالاسم يوياقيم معناه عطاء الله. وكذلك معنى الاسم ايلياقيم. فالاسم هو ذاته وان اختلف بدوءه. ثم ان الانجيل المصنوع المنسوب الى يعقوب يذكر ان مريم العذراء كانت ابنة يوياقيم . ومن ثم ينتج احد الامرين امّا ان التلمود والانجيل المصنوع استندا الى انجيل لوقا فيكونان قد أيدا معلوماته . واما انهما كتبا ما كتبا دون معرفة بما كتبهُ لوقا فيكون ما اورداه مثبتاً لصحّة الاصل الذي اخذوا عنه جميعهم

﴿الرأي الثالث﴾ وهو اكثر قبولًا اليوم عند العلماء والمحققين. فيقولون ان متى ولوقا اوردا نسب المسيح بواسطة يوسف ابيه الشرعي . ألّا ان لوقا اورد نسبه العائلي طبيعيًا كان او شرعيًا . امّا متى فأورد نسبهُ الملوكي اي اُثبت حقوق المسيح في وراثة عرش داود ابيه . لان غاية متى كانت ان يبيّن ان يسوع هو المسيح من نسل ابراهيم ووريث داود في الملك حسب مواعيد الله . وقد ذكر ذلك الملاك جبرائيل بقوله (لوقا ١ : ٣٢ و٣٣) «وسيعطيه الرب الاله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء» . بيد ان مملكة يسوع كانت مملكة روحية . فقد صرّح المسيح امام بيلاطس انه ملك وانّ مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ : ٣٦ و٣٧) . ومن ثم نرى متى في تسلسل اسلاف المسيح من ابراهيم الى داود لا يذكر الّا اولئك الاشخاص الذين كانوا آباء العيال اي الذين لهم حقّ الوراثة سواء كانوا أبناء وحيدين او الأبكار بين الاخوة او مَن أبدلوا بهم وقاموا مقامهم . وفي هذا الجزء من السلسلة يتفق لوقا ومتى . امّا في تسلسل سلف المسيح من داود الى آخر الملوك المعروفين وقت جلاء بابل لا يذكر متى في سلسلته الّا من كانوا ملوكاً . وفي باقي نسب المسيح بما اننا نجهل كيف كان حقّ الوراثة الملوكية بعد جلاء بابل يجب

١) وكذلك الاسم عزريا هو ذات الاسم عُزّيًا . فقد ورد في سفر اخبار الايام الاول (٣ : ١٢) «امصيا وابنه عزّريا» . وفي سفر الاخبار الثاني (٢٦ : ١) «واخذ جميع شعب يهوذا عُزّيًا . . . فاقاموه ملكاً مكان ابيه امصيا» فترى ان ابن امصيا يسمّى تارةً عزريا وتارة عُزّيا . وذلك لانّ الاسمين بمعنى واحد اي قدرة الله او عزّ الله . وفي اللغة العبرية العزّ يعني القوّة وهكذا معنى عزّره اي قوّاه

علينا ان نفترض ان متى اتّبع الطريقة ذاتها اي انه اورد اسامي مَن كانت لهم الحقوق في وراثة الملك حتى ربط السلسلة بيسوع لانّه كانت له معرفة بذلك . وبما انه كتب انجيله لاجل اليهود كان يهمّهُ ان يبيّن لهم ان يسوع من نسل داود الذي وعدهُ الله بالملك المؤبّد . اما لوقا فانّه كتب انجيله لاجل اليونانيين فلم يذكر في سلسلته احدًا من الملوك بل اكتفى بأن يبيّن نسب المسيح العائلي طبيعيًّا كان ام شرعيًّا . ومن هنا اتى الفرق الموجود في نسب المسيح بين انجيل متى وانجيل لوقا . فهذه ثلثة آراء يمكن الاستناد اليها للتوفيق بين روايتي الانجيليّين

مجالس ايليا مطران نصيبين

شرحها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

وفي يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : ما الذي تعتقدهُ في احكام النجوم ؟

اعتقاد النصارى في احكام النجوم

قلتُ : الذي اعتقدهُ فيها هو انها تصحُّ في الكلّيّات لا في الجزئيّات

قال : وما معنى قولك انّها تصحّ في الكلّيّات لا في الجزئيّات ؟

قلتُ : معنى ذلك انّها تصحّ فيما يعمُّ كلَّ احدٍ ويتساوى فيه اهلُ كلّ بلدٍ مثل الكسوفات (٩١) وتغيير الازمنة والاهوية والحرّ والبرد ونحو ذلك مما يتعلّق بالشمس وفعلها وباتصال القمر والكواكب بها . واما فيما يخصُّ زيدًا او عمرًا فليس يصحُّ حكمُها لانَّ ذلك مما يؤدي الى الإجبار ويمنع ان يكون الانسان مخيَّرًا في اعماله

° والدليل على انّ الانسان مخيَّر غير مُجبَر هو انّ الامور على ثلثة ضروب : ضَروري ومُمكِن وممتنع . فالضَروري نحو قولنا : « الناطق حيٌّ » . فهذا قول صادق بقسم الضَرورة لانَّهُ ليس ناطق الّا حيًّا . والممكن كقولنا : « زيد جالسٌ » فهذا مما يجوز ان يكون صدقًا ويجوز ان يكون كذبًا . لانهُ يجوز ان يكون زيد جالسًا ويجوز ان يكون قائمًا او نائمًا . والممتنع نحو قولنا : « زيد يطير » فهذا قول

كالطب اذ لم يُستمع انَّ الانسان يطير (١ . واذا كان الامر على هذا وثبتت الامور الثلثة بطَلَ ان تكون احكام النجوم صحيحةً . وذلك لأنها مبنيةٌ على انَّ جميع ما يجري في العالم توجبهُ حركة (٩٢) الكواكب . فما اوجبتهُ لا بُدّ من كونهِ وما لم توجبهُ لا يمكن وقوعهُ وليس قسمٌ ثالث

• ولو كان الامر على هذا بطَلَ ان يكون الانسان مخيَّرًا ولزم ان يكون مُجبَرًا مكرهاً . ولو كان هذا الامر صحيحاً لما وجب ان يرتأي الانسان في اموره ولا ان يشاور احدًا فيا يعملهُ ولا ان يُحمَد على الخير او يُذمّ على الشرّ لأنَّ كلًّا منهما حَتمٌ لازمٌ لا بُدَّ من وقوعهِ سواء اختارهُ الفاعل ام لم يَختَرهُ . وهذا باطل من موجب العقل وقوانين المنطق . والدليل عليهِ انهُ اذا امتحن الانسان علم احكام النجوم وجدهُ علماً اصطلاحياً لا طبيعياً وانهُ يجري مجرى الزَّجر (٢ والفأل (٣ والكاف (٤ والكهانة (٥ وما شاكل ذلك من الامور التي لا حقيقة لها ولا بُرهان يدلُّ على صحتها كاحكام علم الحساب وعلم الهيئة المنسوبَين الى الفضلاء (٩٣)

ثمَّ انَّ احكام النجوم متى عدل الانسان في امورهِ اليها انفسدت احوالهُ وذلك انَّ اكثر موهبةٍ وهبها اللهُ الانسان موهبة العقل . فربَّما اقتضى رأيَ الانسان فِعل امرٍ من الامور واوجب حكمُ النجوم التوقُّف عن ذلك الفعل فيخالف رأيهُ وعقلهُ ويتبع حكم النجوم فيشطّ ويغلط . وقد رأينا خلقاً كثيرًا من الناس عرضتْ لهم حوائج عند السلطان وغيرهِ واقتضى الرأي والحزم تقديم الحركة في ذلك واقتضى بخلاف ذلك حكمُ النجوم التوقُّفَ فاعتمدوا على مُوجب حكم النجوم ففاتهم مطلوبهم

•ويلزم ايضاً مَن يعمل بهذه الاحكام ويعتقد صحتها احدُ امرين أمّا ان يفضّلها على عقلهِ وامّا ان يفضّل عقلهُ عليها فانْ فضَّلها على عقلهِ لزمهُ متى حدث لهُ امرٌ يقتضي رأيهُ وعقلهُ فِعلَهُ او العدول عنهُ ويقتضي حكمُ النجوم ضدّ ما اوجبهُ عقلهُ (٩٤) ان يعدل عن موجب عقلهِ الذي هو اكبر مواهب الله تعالى عندهُ الى احكام النجوم .

---

١) يريد الطيران الطبيعيّ لا الطيران الصناعي بالادوات كما نرى في عهدنا
٢) يريد بالزَّجر التفاؤل بطيران الطائر ميامنةً او مياسرة ٣) الفأل التيمُّن بالخير
٤) علم الكاف هو علم الكيميا القديمة المبنيَّة على الاوهام غالباً (l'Alchimie)
٥) الكهانة السحر

ومتى فعل ذلك فقد تجاهل وغرَّ بنفسهِ وربّما عطِبَ كما قد رأينا كثيرين عطبوا عند سلوكهم هذه الطريقة . وانْ فضَّل عقلَهُ عليها فلا حاجة لهُ اليها

قال الوزير : فقد رأينا لاصحابِ النجوم إصاباتٍ عجيبة تدلُّ على صحّة هذا العلم

قلتُ : وقد رأينا لاصحاب الزَّجر والفال والكاف والكهانة اصاباتٍ بالاتّفاق اعجب من إصابات احكام النجوم حتّى رأينا وسمعنا عن الزرّافين (١ انهم يأتون بامور تجري مجرى المُعجز . ورأينا ايضاً عجائز يطرحنَ بالشعير والحصى فيُصِبْنَ بالاتّفاق اصابات ظريفة . وليس نسلّم مع ذلك انَّ هذه علوم صحيحة . فاذا كان الامر على هذا فليس يجب ان نجعل اصابات المنجّمين دليلًا على صحّة الاحكام . ومن الصحيح الذي لا شكَّ فيهِ انْ من تمسّك(٩٥) باحكام النجوم عَدِمَ من التوفيق بمقدار تمسُّكهِ بها والعلّة في ذلك انهُ يخالف الشرعَ الذي قد فُرض عليهِ اعتقادهُ والعقلَ الذي هو اكبر مواهب الله عندهُ . ومن خالف عقلَهُ فقد جحد نعمة الله عليه

قال الوزير : والله قد زهّدتَني كلَّ التزهيد في هذا العلم

اعتقاد النصارى في المسلمين

ثمَّ سألني وقال : وكيف اعتقادكم في المسلمين وفي غيرهم من مخالفيكم ؟

قلتُ : انَّ الذي نعتقدهُ في المسلمين رحمهم الله هو انهُ تلزمنا طاعتُهم ومحبّتهم اكثر ممّا تلزمنا طاعة جميع اهل الملك والممالك المخالفة لنا سواء كنّا في بلادهم ام خارجين عنها سواء احسنوا الينا ام لم يُحسنوا . وذلك لانَّ المسلمين يرون صيانتنا وإعزازنا والاحسان الينا ديانةً وفرضاً . ومَن تعدَّى علينا منهم كان صاحبُهم اي نبيُّهم خصمَهُ يوم القيامة . وشرعُهم يحمدنا ويميّزنا من بين (٩٦) سائر اهل الملل وأمّا المجوس والهند والصابئون (٢ وسائر المخالفين لنا فليس يرون إجمال معاملتنا والابقاء علينا اذا حصلنا ذمّة لديهم ديانةً لكن سياسةً وليس يُبقون علينا ان ابقوا ولا يُجملون معاملتنا ان أجملوا الّا سياسةً . واذا كان المسلمون رحمهم الله يرون تَرْكَ اذيّتنا واجمال معاملتنا والاحسان الينا ديانةً وغيرهم انّما يفعل ذلك سياسةً فتلزمنا طاعة المسلمين ومحبّتهم اكثر ممّا يلزمنا لغيرهم من مخالفينا

---

١) الزرّاف السريع الحركة كالمشعوذ ٢) يريد بالمجوس عبدة الشمس والنار وبالهند اهل الهند الوثنيين وبالصابئين عبدة السيّارات والكواكب

• وممّا يوجب علينا ايضاً ذلك انّ المسلمين يعترفون بالمسيح ويعتقدون انّهُ كلمة الله وانّهُ حيٌّ في السماء. والملل الاخرى تجحدهُ، وتعتقد فيه إنّهُ ساحرٌ كذّابٌ قد مات وبَلِيَ في الارض وليس يجوز ان يكون عندنا اهلُ ملّةٍ يعتقدون في المسيح الاعتقاد الاوّل ولو لساوا الينا وتعدّوا علينا مثل اهل الملل الأُخَر التي تعتقد في المسيح الاعتقاد الثاني ولو احسن اهلها الينا وانعموا علينا

(ثمّ انّ المسلمين ايضاً حرسهم الله (٩٧) اذا ظلمونا وآذونا ثمّ رجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على اذيّتنا وظلمنا واهلُ الملل الاخر اذا اكرمونا واحسنوا الينا ورجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على ذلك. فاذيّة المسلمين لنا وتعديهم علينا وهم يعتقدون انهم مخالفون لشرعهم فيما يفعلونهُ معنا من ذلك احبُّ الينا من إحسان غيرهم ممّن يعتقد انهُ مخالف لشرعهِ في احسانهِ الينا

• وايضاً ليس ملّةٌ من الملل المخالفة للاسلام اقرب مودّةً للمسلمين من ملّة النصارى لأنّ جميع الملل المخالفة للمسلمين تخالفهم فيما لا تخالفهم فيهِ ملّة النصارى. فان المجوس والهنود والصابئين يخالفون المسلمين في موسى والمسيح ومحمّد بن عبدالله واليهود يخالفونهم في المسيح ومحمّد بن عبدالله أمّا النصارى فما يخالفونهم الّا في نبوّة محمّد بن عبدالله. ومع مخالفتهم لهم في ذلك فهم يدعون لدولتهم ويسألون الله تعالى دوامها وان يسبغ عليهم رحمتهُ في الآخرة ويوفّقهم لطاعتهِ ويغفر ذنوبهم ويودّيهم النعيم في الآخرة (٩٨)

• وامّا الملل الأُخَر مع بُعدها من المسلمين اكثر من بُعد النصارى فليس فيها ملّة تستجيز بان يدعوا لهم بما يدعو لهم به النصارى. واذا كان الامر على هذا فقد وجب على النصراني ان لا يخالف المسلم اذا سامهُ ما لا يخالف شرْع احدهما اعني شرع الاسلام او شرع النصارى ومتى خالفهُ فقد خالف الله تعالى الذي فرض علينا الطاعة للسلطان بعد طاعة الله. وشرعُنا يتضمّن انَّ من خالف امر السلطان فقد خالف امر الله تعالى. فكلّ نصرانيّ يخالف المسلم اذا سامهُ ما يخالف شرع الاسلام او شرع النصرانيّة فقد اطاع ذلك النصرانيُّ الله تعالى في تلك المخالفة وأحسن الى ذلك المسلم واستحقّ الشكر منهُ اذ نزّههُ من مخالفة دينهِ وشرعهِ. وذلك انهُ قد فرض على المسلم ألّا يُكرِهَ النصرانيَّ على دينهِ وفروضهِ ولا يغصبهُ شيئاً من حقوقهِ

ولا يقصد اذيّتهُ والتحامل عليه

فتى حفظ المسلم هذه الفروض لزم النصرانيّ أن لا يخالفهُ في سواها (٩٩). وذلك مِثلُ مستورٍ يلتمس من نصرانيّ مُوسِرٍ ما يدفع بهِ ضيقتهُ. ومثل مُسلم يقع في شدّة ويلتمس من نصرانيّ ان يساعدهُ مساعدةً يقدرُ عليها . ومثلُ مسلم يَسُوم نصرانيّاً ان يُعيرهُ جاهَهُ في حاجةٍ تعرضُ لهُ او يدفع عنهُ اذيّةً يتمكّن من دفعها بالحيلة او بالقوّة. ومثلُ مسلم مظلوم يهربُ من ظالمِ ويلتجئ الى النصرانيّ وما شاكل ذلك من المؤاسيات التي ينتفعُ بها المسلم وليس فيها مخالفة للشرع فانّهُ يلزم النصرانيّ المسارعة اليها والمساعدة عليها اذ ليس فيها عليه مضرّة في دينه

فهذا ما يلزم النصارى للمسلمين وكذلك يلزم المسلمين للنصارى ان يقرّبوهم ويُحسنوا اليهم ويعِزّوهم اكثر من سائر الملل وان يعتمدوا صيانتهم وتجنُّب ظلمهم وكفّ الاذيّة عنهم وعن بِيَعهم وبيوت صلواتهم وإكرام متقدّميهم (١٠٠) وألّا يُعارضَ حكّامُ المسلمين حرسهم الله حكّامَهم في احكامهم. واذا جاء بعض النصارى الى حاكم المسلمين يلتمس ان يحكم بينهُ وبين نصرانيّ آخر مثلهِ يردّهُ الى اهل دينهِ وحكّامهِ

قال الوزير: انّ القرآن الشريف يوجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين النصارى وغيرهم

قلتُ : انّ القرآن انّما يوجب ذلك على حاكم المسلمين اذا رضي الذمّيّان من اهل الكتاب بحكمهِ امّا اذا رضي احدهما وامتنع الآخر فليس لحاكم المسلمين ان يُكرِه الممتنع الى الرضا بحكمهِ. واذا تراضى النصرانيّان بحكمهِ فهما مخيّران ان يحكم فيهما او لا يحكم لقول القرآن (سورة المائدة ع ٤٦) : «فان جاءوك فاحكمْ بينهم او أعرِض عنهم وإنْ تُعرِض عنهم فلن يضرّوك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط» فقولهُ «ان جاءوك فاحكم بينهم» يستوعب الخصمين وقولهُ «او أعرض عنهم» يدلُّ على التخيير اذا حضر الخصمان. والفقهاء المفسّرون مُجمعون على ذلك (١٠١)

قال الوزير : واللهِ لقد قرّرتَ في نفسي وجوب حقّ النصارى على المسلمين الّا الاشرارَ منهم فانّهم لا يستحقّون على مذهبك الّا القتل

قلتُ : والاشرار من المسلمين ايضاً ما يستحقّون على مذهبك الّا القتل
قال : الامر على ما ذكرت

اعتقاد النصارى في النفس

ثم قال الوزير: أيعتقد النصارى انّ النفس جوهر كما تعتقد الفلاسفة او انّها عَرَض كما يعتقد المسلمون ؟

قلتُ: الذي تعتقدهُ النصارى انّ النفس جوهرٌ لا عَرَض

قال الوزير: وما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : الدليل على ذلك هو انّ العَرَض لا تحلُّ فيهِ الاعراض ولا تتعاقبهُ الاشياء المتضادّة . ونرى النفس تدخل عليها الاعراض وتتعاقبها المتضادّات مثل العلم والجهل والتقوى والفسق (١٠٢) والخير والشرّ . فلو كانت عرضاً لَما تعاقبت هذه المتضادّات عليها

« وممّا يدلُّ ايضاً على ذلك المنامات التي يراها الانسان في الحلم فانَّ الانسان يرى في حال نومهِ اموراً غائبة او بعيدة او مستقبَلة وحواسُّهُ ساكنة باطلة وجسدُهُ كالميّت لا يحسُّ فيدلُّ ذلك على انَّ النفس ترى تلك الرؤيا وتحفظها ثمَّ اذا استيقظ الجسد تتذكرها وتعرّفهُ ايّاها . فلو كانت النفس عرضاً لما جاز ان ترى الغيب وتتصوّرهُ وتحفظهُ وتذكرهُ بعد وقتٍ اذ ليس ذلك من صفات العرض (١ فاذا كان الامر على هذا عُلم انّ النفس جوهر لا عَرَض . ولَمّا كان هذا الجوهر يرى عند سكون الحوادث وبطلانها ما هو (١٠٣) افضل ممّا يراهُ الجسد وهو مستيقظ وحواسُّهُ متّصفة بافعالها عُلم ان هذا الجوهر افضل من جوهر الجسد اذ الجسد لا يرى الشيء الغائب والنفس ترى ذلك

قال الوزير : انّ الكلام في النفس كثير وليس هذا وقتهُ

ثم قال : « اريد ان تكلّف الرهبان الفضلاء في الأعمار والاديرة التي تحت يدك وبالقرب منك ان يدعوا لي ويسألوا الله مساعدتي على اموري »

---

١) انّ في الاحلام قسطاً كبيراً للمخيّلة التي هي من القوى المشتركة بين النفس والجسد كالذاكرة

قلتُ : ان الرهبان ليس يدعون للانسان بان يطيل الله عمرهُ ولا ان يزيد مالهُ ولا ان يُكثر نسلهُ (١ وانّما يسألون الله ان يصنع به ما لهُ فيهِ الخيرة وَقَعَ ذلك بوافقتهِ ام لم يقع وأن يُصلح نيّتهُ ويوفقهُ الى طاعتهِ . فانّ بصلاح النيّة والتوفيق يكون صلاح الشأن وبلوغ الامل لأنّ الانسان اذا كان موفّقاً جيّد النيّة لا يؤمّل ولا يتمنّى الّا ما يلائمهُ ويحل اليهِ ولم يتأسّف عليهِ اذا فاتهُ تأسّفاً يؤلم قلبهُ . فان كان الوزير اطال الله بقاءهُ يقتنع مني بذلك (١٠٤) تقدّمتُ الى رهباننا بمواصلة الدعاء لهُ فان رام الاشياء الاخرى فلا يسوم القوم ما ليس بشائع عندهم

قال الوزير : انّ الذي اريدهُ واتمنّاهُ ليس احد امرين اما عزّ في الغاية وامّا زهد في الغاية . فاني لا اطمع في الزهد لانّ عادتي قد جرت بكثرة مَن يخدمني والزاهد يحتاج الى ان يخدم نفسهُ وهذا ممّا لا سبيل اليهِ . وأمّا العزّ فنفسي تهواهُ وتتمنّاهُ ومع قلّة طمعي فيه فاني لست مؤيساً منهُ . واذا كان الرهبان لا يدعون للانسان بما يتمنّاهُ من امور الدنيا فأريد ان يدعوا لي بما فيهِ الخيرة وان كانت الخيرة مقرونة بضدّ ما اتمنّاهُ

فأجبتُهُ الى ملتمسهِ وكان ذلك قبل مسيرهِ من نصيبين بثلثة أيام وكان قد جرى لي معهُ في هذه الثلثة أيام كلام في مسائل تتعلّق باخلاق النفس وآداب الرهبان والزهّاد (١٠٥) وبالعلوم العقليّة ممّا تجنّبتُ ذكرهُ لطوله . وبعد مسيرهِ اجتمعتُ مع الرهبان في الاعمار المحروسة وخاطبتهم في ما كان التمسهُ الوزير فتواردوا جميعهم بالدعاء بان يصنع الله اليهِ ما لهُ وللناس فيهِ المصلحة الشاملة

ثمّ عاد الى نصيبين بعود الحضرة النصريّة(٢ حرس الله عزّها يوم الخميس الثامن من ذي القعدة واقام بها خمسة وعشرين يوماً وجرى لي معهُ فيها مذاكرات ومسائل عدّة في اعتقاد اليهود وتاريخ آدم وغيرهِ من التواريخ القديمة وتغيير اليهود لها وفي الآثار العلويّة وغير ذلك ممّا يطول شرحهُ

---

١) ليس من مانع يمنع الرهبان ان يطلبوا ايضاً هذه الخيرات الزمنيّة بشرط الرضى بمشيئتهِ تعالى وانّما يفضّلون الناس الخيرات الروحيّة

٢) اراد بهِ ابا نصر احمد بن مَروان الكردي صاحب ديار بكر وميّافارقين لقّبهُ القادر بالله الخليفة العبّاسي نصر الدولة وملك بلاد ديار بكر اثنتين وخمسين وكانت وفاتهُ سنة ٤٥٣هـ وقد قارب الثمانين من عمره وكان موفّقاً في اموره عادلاً كثير المروءة

وعاد ايضاً الى نصيبين دفعة ثالثة ودخلها يوم الاحد السابع عشر من جمادى الاولى من هذه السنة وهي سنة ثمانية عشرة واربعمائة واجتمعتُ معهُ فقال لي: «اعلم اني احسُّ بوجع في احشائي. والشيخ ابو سعد اخوك (١) كان قديماً يراعي امري ثمَّ أهملني فأريد ان تعاتبهُ على فعلهِ. ولمَّا اجتمعتُ مع الاخ رحمهُ الله عرَّفتهُ ذلك فقال (١٠٦) لي: «اعلم انني كنتُ أُراعي امر هذا الرجل ثمَّ انني رأيتُ في منامي في بعض الليالي كأني دخلتُ اليهِ على الرسم ووصفتُ لهُ ما يستعملهُ وخرجتُ من عندهِ. واذا في صحن دارهِ ستَّة اشخاص او سبعة من لابسي الصوف بزي الاساقفة. فقال لي احدهم وهو رجلٌ شيخ: أتعرفني؟ قلتُ: لا. قال: انا شمعون (٢) وانَّ الله لا يريد ان يشفي هذا الرجل أفتريد ان تشفيهُ بشدَّة؟ قلتُ: لا يا مار شمعون. وانتبهتُ ومن ذلك اليوم لم اتجاسر على ملازمتهِ لعلمي انهُ لا تطول مدَّتهُ.

وقد تمَّ الامر ايُّها الاخ الجليل كما ذكر فانَّ الوزير بعد أن اقام بنصيبين عشرة ايَّام عاد الى ميافارقين وبعد مدَّة قريبة قوي مرضهُ وتوفي يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان أنسى الله في أجلكَ وجعل لك اطول الاعمار مع احسن الاحوال وأكمل الافعال (١٠٧)

ولولا تجنّي التطويل لضمَّنتُ هذه الرسالة جميع ما جرى لي معهُ من الكلام في المسائل المتقدّم ذكرها. وان آثرتَ ادام الله حراستكَ ذكر ذلك ذكرتهُ في رسائل أخرى واصدرتُها اليك

ولمَّا كانت هذه الرسالة تتضمَّن في امر المذهب وغيرهِ ما ربَّما شكَّ فيهِ احدٌ من بين المسلمين لقلَّة بصيرتهِ في العلوم اليسعيَّة رأيتُ ان اجمع في كتاب آخر شواهد من الكتب المقدَّسة في التوحيد والتثليث والاتّحاد والحلول والرؤيا وغير ذلك من المعاني المتقدّم ذكرها وان اجعل ذلك سريانيًّا وعربيًّا لتتحقَّق صحَّتهُ ويقرب فهمهُ. وعند الفراغ منهُ بمشيئة الله أبادر بهِ اليك والله يوفقك في جميع متصرّفاتك ويجمل سعادتك (١٠٨). متزايدةً جزيلةً مع الساعات تزايداً لا يقف عندهُ نهاية ويبلغك في دينك

(١) يظهر انهُ اخٌ ثانٍ لمطران نصيبين غير الذي وجّه اليهِ رسالتهُ وانهُ كان متطبّباً
(٢) قد عُرف كثيرون من الاساقفة باسم شمعون ولا نعلم أيّهم اراد هنا

ودنياك غاية الآمال والامنية ويستجيب منك صالح الادعية بصلوات الطـاهرة ام النور وجميع القديسين آمين

وبعد اتمامي هذه الرسالة أيها الاخ الجليل ادام الله حراستك رأيتُ انفاذَها قبل وقوفك عليهـا الى الشيخ الجليل القسيس اللقـان الفيلسوف ابي الفرج عبدالله بن الطيّب (١ كاتب قلاية الجثلقة ادام الله تأييدهُ ليتأملها ويذكر ما عندهُ فيها . فعند وصولها اليه وبعد تأمّلهِ مضمونها كتب بخطّهِ في آخرها ما هذه حكايتهُ :

«قرأتُها ودعوت لبقاء قدس واضعها ابينا المعظّم صلواتهُ على العالم وهو على الحسن والصحّة والموافقة للكتب البيعيّة ولا يمكن من يحبّ الحقّ ان يرفع لفظةً منها (١٠٩) . وكتب عبدالله بن الطيب بخطهِ»

وأجاب عن الكتاب الصادر اليهِ في معناه بما نُسختُهُ بعد السلام والدعاء والثناء :

« . . . قبل الخادم والتلميذ الاصغر خطّ اليدين المقدّستين المطهّرتين اطال الله بقاء سيدنا وابينا الاب المعظّم في السماء والارض الكاهن الحقيقيّ الفائض بالقدس والطهارة الذي اذا قال أخرس واذا فعل أعجز المطران الاجلّ ادام لهُ الله العلوّ والبسطة وحفظ العالم بصلواته وصانَ بهِ زمانهُ واستولت البركات عليهِ نفسيةً وجسميةً . وتشكر الله الكريم حيث خصّهُ بهذه الموهبة ومنحهُ هذه المنحة . ثمّ يعلن انهُ امتثل بقراءة الجدول الذي سُرّ بقراءتهِ تنزّه في تلك الرياض الشرعيّة والثليّة البهيرة وعلم انّ الروح نطق على ذلك اللسان كما نطق بمزمار الروح القدس على سواه . وقد وجدهُ من الصحّة بحيث يُذعن لهُ المعاند فضلًا من ان يطرب لهُ الموافق للحضرة المقدّسة المطهّرة المؤيّدة بالنعم الالهيّة والمواهب السماويّة الحاوية العلوم والفضائل . . . ليسعد في دنياهُ وأخراهُ ان شاء الله (١١٠)

وقد جاء في آخر النسخة المصونة في الفاتيكان تحت العدد ١٠٠ :

تمّت رسالة الاب الفاضل ايليا مطران صوبـا والعالمـا النسطوريّ الى ابي العلاء صاعد بن سهل في ذكر المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابن عليّ المغربيّ . وكُتب عن نقـل السيّد المطران انبا ثاوفيلوس مطران دمشق والعالما نيّح الله روحهُ ونوّر ضريحهُ وجعل لنا معهُ حظًّا ونصيبًا يوم الدين بشفاعة السيّدة ام النور مريم الطاهرة البتول وجميع القديسين . يا رب سامح الناسخ المسكين بخطاياهُ «كلستنتي كراجلي» وقع الفراغ من نسخها يوم الثلثاء المبارك في اواخر شهر تشرين الاوّل سنة ١٧١٤ . وقـد نُسخ في مدينة رومية من نسخة عتيقة فيها مكتوبة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر آب سنة الف ومائتين واثنتين واربعين للتجسّد الالهي لذكره السجود والاكرام

---

١) العلّامة البغداديّ النسطوري ابو الفرج المعروف بابن الطيب الذي ذكرنا سابقًا تآليفهُ (راجع العدد الثالث من السنة الحالية ص ٢٨٦)

وهذا ختام النسخة المصونة في المكتبة المارونيّة الحلبيّة : « تمّت الرسالة وذلك يوم الجمعة اثني عشر تشرين الآخر سنة ١٩٤٢ يونانيّة (١٦٣١ مسيحيّة) »

خلاصة ترجمة ابي القاسم الحسين بن علي المغربي

انّ الوزير ابن المغربي المذكور في هذه المجالس كان من مشاهير زمانهِ وقد خصّهُ ابن خلكان في كتابهِ وفيات الاعيان بترجمة واسعة ويرقي هناك نسبهُ الى ملوك العجم الساسانيّة . كان اوّلاً مقيماً في مصر في دولة الفاطميين فقتل الملكُ الحاكم بامر الله اباهُ وعمّهُ واخويه سنة ٤٠٠ ﻫ (١٠١٠م) فهرب هو الى الرملة ثمّ الى الحجاز وأثار اصحابها على الحاكم حتّى خاف الحاكم على ملكهِ . ثمّ قصد العراق هارباً من الحاكم ولاذ بفخر الملك ابي غالب الوزير وتولّى في العراق والموصل عدّة اعمال وتقلّد وزارة الملك مشرف الدولة البويهي وكان آخر ما انتهى اليهِ امرهُ أن قصد ابا نصر ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين فوزر لهُ الى وفاتهِ في ١٣ رمضان سنة ٤١٨ في ميافارقين ونُقلت جثّته الى الكوفة فدفن في تربة مجاورة لمشهد الامام عليّ . وكان بلغ من العمر ٦٤ سنة . وكان اديباً شاعراً لهُ ديوان شعر ومن تآليفهِ كتاب الايناس صغير الحجم كثير الفائدة وكتاب ادب الخواصّ وكتاب المأثور في مُلَح الخدور وغير ذلك

البابا ورومية

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة البرديوط الخوري داود السمد

لما كانت الابصار في سائر انحاء المعمور متّجهة في هذه الايام الى البابوية والمدينة الازلية بمناسبة وفاة الحبر العظيم المحسن للبشرية البابا بندكتوس الخامس عشر ذي الذكر السعيد وارتقاء خلفه قداسة سيدنا الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر الى العرش الروماني رأيت وانا ممّن أنعم عليهم الرب بان اتلقّى دروسي الكهنوتية في ظل الفاتيكان ان أتحف قرّاء المشرق ببعض كلمات عن البابا ورومية راجياً غضّ

الطرف عما يبدو مني من القصور في معالجة هذا الموضوع الخطير

﴿البابا﴾ ان البابا نائب المسيح على الارض لانه يمثل شخص المسيح في كنيسته بسلطان كلمته المعصومة عن الغلط في امور الدين والآداب وبحق الولاية التي منحهُ اياها السيد المسيح بان يرعى قطيع المؤمنين وبالانعامات الفريدة المختصة بملكة الروحي. فعلى مثال يسوع وبسلطان يسوع هو اساس الكنيسة وملقن الملافنة ومعلم الاساقفة وهو الاخ الاكبر والاب العمومي للعائلة المسيحية ضابط بيده مفاتيح السماء يربط وكل شيء يصبح مربوطًا ويحل وكل شيء يصبح محلولاً. هو يتكلم وكلامهُ الحدّ الفاصل يحكم وحكمهُ لا يُرد. من هو معه هو مع المسيح لانه هو الصخرة الراكز عليها البنيان الالهي الذي هو الكنيسة الجامعة. وله خصوصاً قيلت تلك الكلمات الالهية: «من يسمع منكم يسمع مني ومن يحتقركم يحتقرني»

فالبابا اذًا هو اعظم ممثل للدين على الارض واسمى شخص ادبي بازاء الدول العالمية والقوات البشرية. والبابا هو الوحيد في الدنيا لانه يوجد اقوياء كثيرون وملوك ورؤساء شعوب ولكن لا يوجد الا بابا واحد. فلا عظمة ولا قوة في الارض تعادل قوته وعظمته وهو أب الجنس البشري ولا يوجد في البلاد المتمدنة لا عظيم ولا حقير لا كبير ولا صغير لا رئيس ولا مرؤوس الا ويدعوه باسم الاب الاقدس. لان القداسة هي صفة ملازمة لهذه الابوة. ان البابا من البنين بقدر ما يوجد في العالم من الانفس التي قبلت سرّ العماد المقدس حتى المنفصلون عنه انفسهم يخصّونه شاءوا ام أبوا لانه بحق الهي أضحى راعياً على كل الشعوب التي تخص المسيح وتدعي مسيحية

﴿رومية﴾ واما رومية فهي المدينة الازلية لانها مدينة البابا ومعدَّة منذ تأسيسها لأن تكون عاصمة الحقيقة وكرسي معلّم الشعوب وسيدة الجنس البشري الذي ارتدَّ الى ديانة المسيح. وكأني بالعناية الالهية الفائقة طور العقول قد اعدَّتها لهذه الغاية السامية لان موقعها الطبيعي وتاريخها المجيد قد جذب الشعوب جميعها الى يسوع مخلّص العالم الذي ملك فيها بقدرته العظيمة وبدمه ودم الملايين من شهدائه الزينة عظامهم دياميس رومية. وكما ان رومية الوثنية كانت عاصمة العالم قديمًا هكذا لما اقتبلت سر العماد المقدس اصبحت هذه المدينة عاصمة العالم الكاثوليكي وقبلت في حضنها جميع الشعوب بعواطف المحبة المسيحية

ان بطرس صيّاد بحيرة جنّاسر اتى رومية فوجد نيرون الظالم متربّعًا تحت القياصرة وذاعًا عمّا لاكاد من صنوف العذابات قد نصب فيها صليب المسيح وطرح في ارضها بذار الاستشهاد ثم مات مصلوبًا ٠ وهذا البذار العجيب قد اورث الكنيسة ذخائر خمسة عشر مليونًا من الشهداء لم تزل عظامهم موضوع التكريم والعبادة في كنائس رومية العظمى ٠ وقد واصل خلفاء مار بطرس على مدة ثلاثمائة سنة القاء هذا البذار الالهي وماتوا نظيره الى ان استفاقت رومية الوثنية من سكرتها الدموية فرأت ذاتها مسيحيةً وجعل قسطنطين الملك ودبث نيرون الصليب شعار المملكة وعلامة الظفر ٠ ولما رأى ان العظمة الامبراطورية لا توافق بقرب العظمة الحبريّة ترك رومية لنائب المسيح ومن ذاك الحين قد صار البابا فعلًا رئيس المدينة الرومانية الى ان تقررت له هذه السيادة بحق شرعي

وهذا الحق قد اثبته وسجلته الاجيال ٠ فرومية ستكون دائمًا مدينة البابا ورئيسة العالم الكاثوليكي وكرسي القديس بطرس وبالنتيجة كرسي خليفة بطرس ممثل الله على الارض ٠ ورومية هي مدينة البابوات لانها جُعلت لاجلهم وهم جدّدوها وصانوا حماها ٠ وكما ان العسل هو عمل النحل هكذا رومية هي عمل البابوات لانهم حفظوها من الدمار عند هجوم البرابرة عليها ٠ فلولا القديس لاون البابا لما توقّف اتيلا وجنوده على ابواب رومية ولولا مساعدة الرسولين بطرس وبولس لما بقي من رومية حجر على حجر ولكان اصابها ما اصاب اورشليم ٠ فرومية قد نجت بواسطة البابوات من نكبات ورزايا كثيرة وتجددت وتزينت منهم بانواع شتى وهم كثيرًا ما حوّلوا بناياتها الفخيمة الى معابد مكرمة لخدمة الاله الحقيقي كالبانتيون (Panthéon) الذي كان هيكلًا لجميع الاصنام فجعلوه هيكلًا لجميع القديسين وسلطانتهم مريم العذراء ٠ والابنية التي لم يمكنهم حفظها فقد سهروا على آثارها ومنعوا الاجيال والعوامل الطبيعية من ملاشاة بقاياها كالكولوسيو (le Colysée) وغيره من الآثار العجيبة

وقد اضاف البابوات الى البنايات القديمة بنايات حديثة وكنائس ومتاحف على ممرّ الاجيال عدا عمّا جرّوه اليها من الينابيع الغزيرة والقنيات ذات القناطر الفخيمة التي لا مثيل لها في العالم ٠ ومن بين العجائب العظيمة التي اوجدها البابوات في رومية

نخص منها بالذكر كنيسة مار بطرس اعجوبة الدنيا بقياسها الهائل وهندستها الفائقة وبنائها الذي لا يوصف في كل صنوف المآثر وخاصة لاحتوائها على ذخائر الرسول العظيم التي هي ذاكرة عليا كاساس لا يُنقض ولمجاورتها لقصر الفاتيكان مقر الحبر الروماني الحاوي بين جدرانه العظمة الاولى في العالم والمآثر والصناعة الاكثر جمالاً بين البشر تلك التي خرجت من يد ذلك النابغة الفريد رافائيل المصور الشهير

ان البابا ولو كان بمعزل عن كل عظمة بشرية فهو اشرف ما يوجد في العالم لانه خليفة مار بطرس وإمام الاحبار ونائب الله وسلطته الحية على الارض · ولكن عندما تضاف الى هذه الصفات الممتازة الفضائل السامية والشهامة العجيبة والثبات الراسخ وعظمة الاب الجالس على العرش الروماني فلا يمكن وصف ما يشعر به قلب المسيحي عندما ينال شرف المثول امامه لاول مرة كما جرى لمحرّر هذه الاسطر عند تتميم دروسه في مدرسة انتشار الايمان في رومية وحصوله على هذه النعمة من لدن السيد الذكر البابا لاون الثالث عشر العظيم

فاول ما يرغبه المسيحي عند ما يضع قدمه في رومية هو ان يشاهد البابا وكنيسة مار بطرس وقصر الفاتيكان وعجائب التاريخ والطبيعة والصناعة · ومن يمكنه ان يصف الشواعر التي تخطر على قلب المسيحي عندما يدخل كنيسة مار بطرس ويشاهد عظمتها ويقبل قدم التمثال النحاسي الذي يمثل بطرس الرسول هامة الرسل وقد اوشكت ان تذيبه قُبلات المؤمنين. وكلما يعاينهُ في الكنيسة هو عظيم وفخيم موسوم بسمة الجلال ويكفي القول بان الذي وضع هندستها هو ميكل انج الشهير فلا شيء من عجائب الدنيا يماثلها · فالمسيحي داخل هذه الكنيسة هو في بيتهِ كابن الملك في قصر ابيه. وهذه العظمة الفائقة هي بمعزل عن الفخفخة والكبريا لان هذه الكاتدراء البابوية هي تسبحة الكنيسة المقدسة مسطَّرة بالذهب والفضة والرخام وهي تذكرنا بلسان حالها بتسبحة العذراء المجيدة «تعظِّم نفسي للرب»

اي نعم ان كنيسة مار بطرس هي تسبحة الكنيسة لانها هي ابنة الله وعروسته وامه. فهنا يستنشق المؤمن رائحة الأمان والفرح والحب والانتصار الذي تمَّ بوقته في الاجيال الغابرة والذي نرجوه في المستقبل. ولقد تحققت في هذه الكنيسة كلمات بطرس الطوباوي على جبل طابور · فهي هي المظلة الفخيمة التي شاء ان يشيدها لمعلمهِ مظلة

غاية في الرحب متسعة الارجاء يحيط بها النور والحياة الالهية. وقد بُنيت على ضريح الصيَّاد ولم يُسمح له ان يستريح فيها الّا بعد ان قدّم لمعلمه الصالح عرق جبينه ودموعهُ ودمهُ الذي هرقه على الصليب متلاشياً من الاتعاب والحب. وكما ان رومية هي مدينة البابا الخاصة هكذا بيعة مار بطرس هي كنيسة البابوية لانها مشيدة على ضريح الرسول الذي جعله المسيح اساس الكنيسة الجامعة. وتحت هذه القبة التي رفعتها الى العلاء يد الايمان والعقل السامي يستريح ذاك الذي سلّمه المسيح سلطته الالهية

وكأني بهذه الكنيسة تمثل بفخامتها عظمة المسيح مشخَّصاً بالصخرة وبكل حق يقال عنها انها هي القُطب الذي يدور حوله العالم الكاثوليكي ولذلك قد جملها الرب بكل الامجاد الالهية والبشرية واحاطها بالبهاء. وتوَّج هامتها بثلثة أكلّة اعني بها الصناعة والقداسة والتذكارات الجليلة. اما الصناعة فانَّ اللسان قاصرٌ عن استيعاب بدائعها بعد ان اسهب اعظم الكتبة في عظائم هذه الكنيسة التي قام بهندستها ميكل انج اشهر مهندسي العالم الذي رفض كل مكافأة مالية لقاء عمله هذا قائلاً بانه لا يرغب ان يشتغل الّا حباً بالله وبالعذراء القديسة ومار بطرس

ان العقل البشري يقف متحيّراً مندهشاً امام النقوش والتماثيل والصور التي تمثل هناك حقائق ايماننا المقدس كصورة التجلّي من عمل رافائيل الشهير وغيرها كثير حتى يخال للناظر بان المواد الثمينة وضروب الرخام البديع النادر المثيل قد اجتمعت كلها في هذا المكان لتخدم مجد الخالق وتعظّم كلمته المتأنس وصيَّاد الجليل الذي صار صياد البشر والراعي العمومي لجميع الناس. فكل هذه العظائم تتلألأ هنا بنور باهر وتتغنَّى بلسان حالها مردِّدةً تلك الآية العظيمة المرسومة عليها الكنيسة: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي

اما كنيسة مار بطرس فليست هي فقط الكنيسة الفائقة باتّساعها وارتفاعها وعظمتها على كنائس العالم بل هي ايضاً اكثر قداسةً منهنَّ جميعاً لان اجساد عدد غفير من الشهداء والقديسين يرقدون فيها حول الرب الحيِّ في الافخارستيا. وذخائر رئيس الرسل مع اجساد كثيرين من الرسل والباباوات ومن قديسي الطوائف المسيحية جميعها تستريح هناك كحرَّاس وخفراء شرَفيين لرئيس الكنيسة. واما الكرسي الرسولي فهو ذاك الكرسي الذي كان جلس عليه بودنسيوس (Flavius Pudens)

الروماني احد اعضاء مجلس الشيوخ الذي كان بعد تنصُّره يضيف القديس بطرس في بيته . فهذا الكرسي هو موضوع في صدر الكنيسة وقد اصبح كرسيّ الحقيقة وكرسي الرئاسة العمومية بعد جلوس هامة الرسل وخلفائه عليه . وله سنويًّا عيد خاص يُحتفل به في ١٨ كانون الثاني

وفي هذه الكنيسة من الذخائر الثمينة ما لا يوجد في سواها منها ذخائر آلام المسيح الاكثر اهمية كالحربة التي طعنت قلبهُ الالهي ومنديل القديسة فيرونيكا الذي تُشاهد فيه صورة الوجه الالهي الدموية . ومركز هذه الذخائر هو على جانبي ضريح مار بطرس تجمع ما بين تذكارات الجلجلة والهيكل الطور طابور فتذكّر خلفاءَ مار بطرس ما لا يمكنهم نسيانه انه من الواجب عليهم المرور في درب الصليب قبل البلوغ الى مجد القيامة . وكلّ ما تراه في هذه الكنيسة يشعر بقداسة المسيح وتنبعث منه رائحة الفردوس السماوي فيمتلئ القلب فرحاً وتعزية ورجاءً . لان هذه المذابح والمدافن تذكرنا بعجائب الحب المتصرة على الموت

هذا وناهيك عما هنالك من الآثار والتذكارات التاريخية التي تجعل هذه الكنيسة كتاريخ مختصر للدين المسيحي وللعالم بعد يسوع المسيح . وهذه التذكارات هي سابقة للكنيسة الحالية التي شيدها البابا يوليوس الثاني وهندسها ميكل انج الشهير وتتصل بعهد الرسل وبدء الدين المسيحي . ففي اسفل جنائن نيرون توجد المغاور الفاتيكانية التي صارت مدفناً للمسيحيين الاولين الذين ذاقوا مرارة الموت القاسية فأحرقوهم ليكونوا مصابيح حيّة لتسلية القيصر الظالم في ملاهيه الليلية . وبعد استشهاد القديسين بطرس وبولس وُضعت اجسادهما في هذا المكان الذي كان يعرف بمحل استشهاد مار بطرس حتى وفي ايام البابا أنكليت الخليفة الثاني لزعيم الرسل ومنذ ذاك الحين قد خُصَّ هذا المكان بتكريم رئيس الكنيسة الأوّل

وفوق هذه السراديب المقدسة قد بنى قسطنطين الملك بعد تنصُّره الكنيسة السفلى حيث يوجد جسد الرسول فأصبحت مزار العبادة لجميع المسيحيين في العالم . واذ رأى يوليوس الثاني عدم كفاءتها للقيام بالحفلات الحبرية بدلها بالكاتدرا الحالية ولنَعُد لسرد تاريخ الكنيسة الاولى الى ذاك اليوم المجيد والتذكار الشريف يوم تأسيس هذه الكنيسة عندما حضر قسطنطين الكبير وحفر بيده اساسها وساعد على

بنيانها حاملاً على كتفه اثنتي عشرة قفّة من التراب تذكاراً للرسل الاثني عشر. وهكذا تحوّل كبرياء القياصرة وعجرفتهم الى تواضع المسيح لان خليفة نيرون صار خادماً متطوعاً لخليفة بطرس وهذه لعمري من اعظم العجائب التي يذكرها التاريخ. وهذا الامبراطور لم يبنِ فقط الكنيسة ذات المائة عامود لتكون مدفناً لصياد الجليل بل اراد ايضاً ان يجعلها مقرّاً للبابوية فبهجره المدينة الازلية قد ترك رومية للبابا والبابا لرومية مباشراً ذاك العمل العجيب الذي كان مزمعاً ان يتممه كارلوس الكبير بعد خمسمائة سنة. ولذلك قد وُضع على جانبي هذه الكنيسة العظيمة تمثال هذين الامبراطورين العظيمين قسطنطين وكارلوس فترى كلّاً منهما ممتطياً جواده كحامي الكنيسة ورؤسائها

وكارلوس الكبير وحده يمكنه ان يحاكي قسطنطين في تاريخ الفاتيكان لانه زار رومية اربع مرات بمدة ربع قرن. ويا ما اجمل واليهى تفصيل زيارته الاولى لضريح مار بطرس فانه كان ذلك في يوم السبت العظيم سنة ٧٧٤ وقد نزل عن جواده على ابواب رومية لانه لم يشأ ان يدخلها بموكب ملوكي بل دخلها ماشياً على قدميه يتبعه جمهور حاشيته الشريفة. ولدى وصوله الى درج الكنيسة صعده على ركبتيه مقبّلاً كل درجاته ماسكاً بيد البابا. ولا تسل عن شديد عبادته نحو زعيم الرسل فان المؤرخين معاصريه يذكرون لنا بانه كاد يذيب صفيحة ضريحه من تكرار قبلاته. واما عن زيارته الاخيرة فيذكر لنا التاريخ امرين هما على جانب من الاهمية: الاول تتويجه من يد البابا لاون الثالث القديس سنة ٨٠٠ فعند قبوله الاكليل بين هتاف الشعب ومجلس الشيوخ ابرز يمين الامانة نحو الكنيسة على هذه الصورة: انا كارلوس باسم السيد المسيح اتعهد امام الله ورسوله بطرس بالمحافظة والمحاماة عن هذه الكنيسة الرومانية بمعونة الله بقدر معرفتي واستطاعتي. فهذه اليمين البارزة من قلبه وشفتيه كانت برهان ايمانه الجاهد وعبادته الحارّة وامانته المستقيمة المخلصة. والامر الثاني هو الشهادة المنقوشة على صفيحة من الرخام الاسود بجانب باب مار بطرس وهي ابيات لاتينية من نظمه ارسلها الى رومية بعد موت البابا أدريان الذي كان كارلوس يحبّه محبة بنوية وهذه ترجمتها:

« انا كارلوس أكتب هذه الاشعار باكياً على أبي: ايتها يا ابي يا موضوع حبي القلب هذه الاشعار هي نوحي على خسارتك، فاذكرني انت دائماً لان نفسي دائماً تتبعك فاجلس مع المسيح

في ملك السماوات السعيد. ان الاكليروس والشعب قد احبوك كثيراً لانك الراعي الصالح وحبك كان شاملاً قلوب الجميع. ايها الصديق الشريف اني اضمّ اسمي الى اسمك سويةً أدريان وكارلوس انا الملك وانت الاب. فيا من تقرأ هذه الاشعار أيّاً كنت اضرّعْ الى الرب بقلب نقي لكي يرحمني ويرحمهُ »

فيا لها من عبارات سامية وعواطف نفس شريفة عرفت ان تحب كما عرفت ان تنتصر وهي منذ احد عشر جيلاً تستترف الدموع من عين الزائر المحب للمسيح وكنيسته ومار بطرس رسوله . ويا لها من تذكارات مجيدة جرت في كنيسة مار بطرس عندما تتوّج فيها من يد البابوات اربع وعشرون امبراطوراً وزارها الملوك والعظماء الذين بعد شارلمان أتوا رومية على ممرّ الاجيال ليتطهروا بواسطة الصلوة ويتعلموا كيف يحكمون بقرب راعي الشعوب السامي

وكم من قوّاد الشعوب ومستلمي زمام الامم أتوا ليتعزّوا من مرارة نكران جميل شعوبهم وليموتوا بسلام الرب بقرب هذا الضريح . فاليه التجأ ملك اسكوسيا لينجو من عذاب نخس ضميره ويكفر عن جريمة قتلهِ ابنَ عمه بتوبة صادقة بالاماتات والصدقات . وتلك الادناس التي لم تقوَ امواج الاوقيانوس على تطهيرها قد محتها مفاعيل بركة الذي يحلّ ويربط والضابط بيده مفاتيح ملكوت السماء . اليه اتت كريستينا ملكة اسوج بعد ان تنازلت عن الملك وتركت ضلالات المراة الهرطوقية طالبةً مدفناً في مار بطرس فشادوه لها جميلاً وفخيماً بقرب مدافن عائلة استوارت الاخيرة . الى هذا الضريح تراكض اصحاب العقول الرفيعة من كل قطر وصوب ومن سائر ممالك اوربا لاجل التأمل والصلوة والإعجاب كالكتبة والفلاسفة سرفنتس ومونت وشيلر واللورد بيرون وموزار وشاتوبريان ولامرتين وغيرهم كثيرين وجميعهم كتبوا عن رومية ومار بطرس اموراً عجيبة . وماذا اقول عن اوكونل محامي ايرلندا الشهير الذي اهدى مار بطرس قلبه لانه مات على الطريق

كثيرون بجاذب الايمان والحب أنهوا حياتهم في ظل الفاتيكان وقد غذوا نفوسهم بالتعاليم الحقة وباسرار الصناعة العجيبة المالئة هذه الكنيسة . وترنموا بتقريظ واطراء رومية وجمالها وامجادها الصناعية وكنائسها وطقوسها واحبارها وكرادلتها ونقوشها وتصاوير رافائيل وقبة مار بطرس الناطحة السحاب . ولقد زار هذه الكنيسة

عدا الملوك والعظماء والعلماء واصحاب الفنون البارعين عدد عديد من القديسين الذين تناهوا بتكريم واجلال هذا المكان المقدس وكم اكثروا من الصلوات وذرفوا من الدموع على هذا الضريح المجيد وكم من الاساقفة والباباوات وضعوا تيجانهم على هذا الضريح معفّرين الخدود في الثرى حوله

لقد زار هذا المقام مار اغناطيوس دي لويولا ومار فرنسيس كسفاريوس ومنه استقيا ينابيع الغيرة على خلاص النفوس · على هذا الضريح كرّس القديسان لويس غونزاغا واسطانسلاوس كوستكا بتوليتهما لله واحنيا اعناق انفسهما لنير رهبانية يسوع الجليلة · هناك مار فرنسيس دي سال قد تهيّأ لمجانب رسالته · هناك القديس يوسف لابر اعتنق الفقر الاختياري فوُجدت تحت اسماله البالية النفسُ الاكثر اماتةً المشغوفة بحب الفقر المقدس حتى ان الملائكة لم تشاهد على الارض بعد الاسيزي نفساً خطبت الفقر نظيره · على هذا الضريح بالاختصار التقى القديسان المعظّمان مار فرنسيس ومار عبد الاحد فعرفا بعضهما ولم يكونا تعارفا قبلًا فساعدا على اصلاح العالم بالفقر والاماتة · فهذا الضريح المقدس كان شاهدًا على مصافحتهما لبعضهما فامام ذخائر الرسول العظيم وتحت ابراج كنيسته تمازجت قلوبهما فصارا كإناءين معدّين لنشر رائحة المسيح الطيّبة بفضائلها

وهكذا اصبح هذا المكان اقدس الامكنة المقدسة فلا شيء في الدنيا اكثر مجدًا من ضريح مار بطرس وكاتدرائيته العظيمة التي قد فاقت مجد قبر السيد المسيح وفقًا لما قاله في انجيله الشريف: اذا كان فيكم ايمان الله فاعظم من هذه الاعمال تعملون · وهذه لعمري اعجوبة تذهل العالم على ممر الاجيال · فسبحان من هو عظيم في قديسيه الذي له المجد الى ابد الابدين امين

المخطوطات العربيّة لكَتَبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠٤ ﴿اغناطيوس دي لويولا﴾ القديس منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة المتوفّى في

٣١ تمّوز سنة ١٥٥٦ . في مكتبتنا الشرقيّة نسخة خطّيّة من اواسط القرن الثامن عشر من كتاب رياضاتهِ المعرَّبة عن اللاتينيّة بهمّة البادري بطرس فروماج اليسوعي في صيدا، سنة ١٧٣١ مع مقدّمات وايضاحات واعتبارات وقراءات من الكتاب المقدّس والاقتداء بالمسيح وكتاب الكمال المسيحيّ لرودريكوس لرياضة عشرة أيام (صفحاتهُ ٤٥٨) . وقد طُبع مختصر هذا الكتاب في رومية (سنة ١٨٤٦) ثمّ في مطبعتنا (١٨٥٨ و١٨٦٨) ثمّ طبعت شروح الاب جانسو على هذه الرياضات بتعريب المرحوم سعيد الشرتوني (١٨٩٥) . وكذلك طُبعت قوانين مار اغناطيوس ورسالتهُ في الطاعة

١٠٥ ﴿اغناطيوس الاورلياني﴾ هو الاب فرنسيس الكبوشي . كان مرسلاً في حلب في اواسط القرن السابع عشر . لهُ ١ ° كتاب اسرار البيعة المقدّسة تأليف الحقير اغناطيوس الفرنساوي من مدينة اورليان من جماعة الكبوشيين ، في ٦٨ فصلاً . اطّلعنا على نسخة منهُ قبل الحرب عند الآباء الكبوشيين في بيروت . ٢ ° لهُ في مكتبة باريس (Paris, *Mss. ar.*, 228) تعريب كتاب الاقتداء بالمسيح . ويقال انّ هذه الترجمة هي التي نشرها بعد ذلك باسمهِ الاب سلستينوس الكرملي (cfr. Schnurrer, n° 225 et Steinschneider. *Polem. Literatur*, n°, 175, p. 212-214)

١٠٦ ﴿اغناطيوس دي يسوع الكرملي﴾ توفّي سنة ١٦٦٧ م . ذكر لهُ حضرة الاب انستاس الكرمليّ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٣٨) كتاباً في النحو العربي (قال) « ابدع فيهِ واغرب » وكتباً اخرى عربيّة مخطوطة لم يصرّح بذكرها وقال انها موجودة في دير رئيسهم العام في رومية

١٠٧ ﴿افتيميوس الحموي﴾ هو ملاتيوس اسقف حلب ثم افتيميوس البطريرك الروميّ الملكي المعروف بافتيميوس كرمه المشترك مع الكنيسة الرومانيّة توفّي في دمشق سنة ١٦٣٧ (اطلب ترجمتهُ مع تعريباتهِ وتعريبات اخيهِ ثلجه في مجلّة النعمة ٣ : ٧—٢٢ و ٩٩—١١٢) . عرّب من اليونانيّة والسريانيّة عدّة كتب طقسيّة لما كان في حلب منها : ١ ° الاورولوجيون اي السواعي . منهُ نسخ عديدة في مكاتب حلب ودمشق وصيدنايا وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة (تاريخها سنة ٧٢٣٢ للعالم الموافقة لسنة ١٧٢٩) وفي مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVII, 284) راجع ايضاً مجلّة الشرق المسيحي (Or. Chr., 1914, p. 14) وفي آخر بعض هذه المخطوطات كلندار سنوي لتقويم

الاعياد والاصولم وغير ذلك . طُبع الكتاب في بكرش (بخارست) في رومانية سنة ١٧٠٢ . ٢ً الافخولوجيون اي الصلوات الكهنوتيَّة عرَّبهُ سنة ١٦١٢ . نسخهُ ايضاً عديدة جدًّا في خزائن كنائس طائفتي الروم الملكيين والاورثذكس في حلب ودمشق واورشليم (عدد ١٢٧) ويبرود وزحلة. ٣ً خدمة القداس للقديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير نقلهُ الى العربيَّة سنة ١٦٠٢ .منهُ نسختان في مكتبة القبر المقدَّس كما جاء في برنامجها .ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة الواحدة بالعربيَّة والسريانيَّة معاً بالخط السرياني الملكي . عرَّبها من السريانيَّة وفيهِ دليل واضح على شيوع الكتب الطقسيَّة السريانيَّة بين الروم تاريخها سنة ٧١٦٠ لآدم (١٦٥٢م) والاخرى عربيَّة ويونانيَّة متقنة الكتابة ترتقي الى القرن الثامن عشر . ٤ً التيبيكون اي الطقوس الكنسيَّة على اختلاف اعياد السنة عرَّبهُ المطران ملاتيوس مطران حلب سنة ١٦١٢ وهو ٥٧ رأساً مع شرح الطقوس وبيان الصلوات لكل السنة .منهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان تاريخهما في سنتي (١٧٢٧ و١٨١٩) ونسخة في مكتبة الرهبانيَّة الشويريَّة تاريخها سنة ١٦٣٧ . ٥ً القنداق اي خدمة الشمَّاس عرَّبها سنة ١٦١٢ .منهُ نسخة في جبل آثوس (مجلَّة النعمة ٢: ١٥٣) . ٦ً وله عظة لاجل تعزية اهل حلب في نكبة الطاعون سنة ١٦٣٠ (ROC, XVII, p. 280) .وللبطريرك افتيميوس الحموي في عهد اسقفيَّتهِ مقابلة كتب اخرى طقسيَّة على اليونانيَّة وكان سبق تعريبها كالسنكسار اي تراجم القديسين والإستيخراري اي الالحان والاناشيد الكنسيَّة

١٠٨ ﴿افتيميوس صيفي﴾ اسقف صيداء على الروم الكاثوليك المتوفى في صيداء في ٢٧ ت ١ سنة ١٧٢٣ . (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٦٤١ – ٦٥٦) . في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة حسنة من كتابهِ الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة كانت سابقاً في مكتبة المرحوم جبران دلَّال في حلب . وهذا الكتاب قد طبع اوَّلًا في مطبعة انتشار الايمان في رومية سنة ١٧١٠ ثمَّ في مطبعة الآباء الفرنسسكان في اورشليم سنة ١٨٦٢

١٠٩ ﴿افجانيوس رئيس اساقفة البلغار﴾ المولود في جزيرة كورفو سنة ١٧١٦ والمتوفى في بطرسبورغ سنة ١٨٠٦ صنَّف عدَّة تآليف في اللغة البلغاريَّة والروسيَّة . له في العربيَّة تاريخ ١٠ المائة للسنة الاولى من تجسُّد المسيح المخلّص قد تدوَّنت بالاختصار

على حسب دور السنين من اخبانيوس ونيس اساقفة البلغار باللغة اليونانيَّة الفصيحة ٠ وترجمها الى العربيَّة القس عيسى بيترو الاورشليمي في ك ٢ سنة ١٨١٧ ٠من هذا الكتاب نسخ شتَّى الواحدة في مكتبتنا الشرقيَّة ٠ وفي مكتبة مدرسة الثلثة الاقمار ناسخها هو ذات كاتب نسختنا جبرائيل موسى ميداني في تاريخ سنة ١٨٢٥ ثمَّ في مكتبة غبطة بطريرك الروم الحالي غريغوريوس حدَّاد (النعمة ٣ : ٥٥٥)

١١٠ ﴿افرام﴾ القديس الملفان والراهب السرياني المتوفَّى سنة ٣٧٨ م انَّ تآليف مار افرام كلُّها بالسريانيَّة وهي عبارة عن عدَّة مجلَّدات ضخمة يغلب عليها النظم ٠وبينها المواعظ والتسابيح والميامر وشروح الاسفار المقدَّسة ٠وقد نُقل كثير منها الى اللغات المختلفة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والارمنيَّة والقبطيَّة ٠ أمَّا العربيَّة فقد عُرِّب من تآليفه : ١٠ً ميامره الوعظيَّة في عدد ٥٢ ميمرًا ذكرها ابو البركات بن كبر في قائمته (Riedel, p. 647) ومنها نسخة في المكتبة الڤاتيكانيَّة (ع ٦٧) تاريخها سنة ١٣٢٩ وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة اقدم تاريخها سنة ٦٧٢٤ للعالم الموافقة لسنة ١٢١٦م في آخرها مديح القديس غريغوريوس نيسس لمار افرام نشرناهُ في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٤٥٣ و ٥٠٦) ٠ ولمار افرام ٦٨ ميمرًا آخر في احد مخطوطات الڤاتيكان (ع ٦٨) تاريخهُ سنة ١٣٢٥ ٠ولهُ ميامر أُخرى معرَّبة في مكتبة ديار بكر للكلدان ومكتبة دير البلمند للروم مع ترجمة حياتهِ وفي مكتبة دير الشرفة للسريان الكاثوليك ٠وفي بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية ١٦ ميمرًا في آلام السيِّد المسيح ٠ وميامر متفرّقة في الدينونة وفي مار الياس النبي ٠ ٢ً تفسير سفر الخليقة بالكرشوني في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٧) ٠ ٣ً كتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وهو قصَّة آدم وحوَّاء بعد ان طُردا من الجنَّة ٠وهذا الكتاب قد نشرهُ سنة ١٨٨٣ في السريانيَّة والعربيَّة المستشرق الالماني كرل بتسولد (C. Bezold. *Die Schatz-hoele* مع وصف النسخ التي وقف عليها في مكاتب اوربَّة ٠ منهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة سريانيَّة ونسخة عربيَّة فالسريانيَّة توافق ما نُشر بالطبع أمَّا العربيَّة فانَّها تختلف عنهُ اختلافًا كبيرًا وهي اوسع منهُ تتناول كلَّ أخبار آدم وذرّيتهِ الى السيّد المسيح مع تفاصيل متعدّدة عن احوال آدم وحوَّاء بعد خروجها من الفردوس ودخولها في مغارةٍ تُدعى مغارة الكنوز ٠ وتاريخ هذه النسخة سنة ١٦٧٦م

١١١ ❊ افرام البطريركي القبطي الثاني والخمسون د̃بر الكرسي البطريركي من السنة ٩٧٥ الى ٩٧٨م (راجع كتاب الشرق المسيحي .Lequien: Or. Chr) (Renaudot: Hist. Patr. Alex. Jacob., 479) وتاريخ البطاركة المعاقبة II, (373-366) ذكره ابن عسّال في كتاب الاصول في قائمة مصنّفي النصارى. وافرام هذا مؤلف تاريخ بطاركة الاسكندرية الذي استفاد منهُ ساويروس بن المقفّع في تأليفهِ وهو اليوم مفقود

١١٢ ❊ افرام الشمّاس عاش في اواخر القرن السادس عشر واوائل السابع عشر. لهُ في مكتبتنا الشرقية نسختان من كتابهِ وصف طورسينا وابنيته الذي نشرناهُ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٣٦و٧٩٤)

١١٣ ❊ افيلا هو الطوباوي جان الاسباني من افيلا او ابلة المتوفى سنة ١٥٦٩م لهُ في العربية تذكار الرياضة الذي طُبع في مطبعتنا

١١٤ ❊ اقليميس ويقال اكليمنضوس هو تلميذ بطرس الرسول وخلفهُ الثالث على كرسيّ رومية (٨٨—٩٧م) كتب باليونانية رسالتيهِ البديعتين الى اهل قورنتوس ومقالةً في البتولية. ويُعزى لهُ عدَّة تآليف يشكّ المتقدمون في صحة نسبتها اليهِ وقد عرَّبوا كثيرًا منها نجدها في عدة مكاتب. من ذلك: ١ً كتاب رؤيا بطرس لتلميذهِ اقليميس وما اوحاهُ اليهِ السيد المسيح من احوال المستقبل. في مكتبة باريس منهُ اربع نسخ (Paris, Mss. ar., 76-79) وكذلك في مكتبة الفاتيكان (Assemani, Bibl. Or. II, 508) وعند بعض اهل دمشق وهو في ٨٨ فصلاً .

٢ً القوانين الكنائسية التي املاها بطرس الرسول على تلميذهِ اقليميس (في باريس ع ٢٣١و٢٣٥) وفي المتحف البريطاني (Brit. Mus. Cod. 1545) ومكتبة ستراسبورج (ع٣٠) · ٣ً في مكتبتنا الشرقية كتاب المصحف الناموسي يحتوي على «قوانين التلاميذ الاطهار التي اخبر بها اكليمنضوس في تطلّبات (les Titres) التي اجتمع عليها رسل سيّدنا المسيح وعددها احد وثمانين قانونًا» منها ايضًا نسخ في باريس ورومية وفي مكتبتنا الشرقية. ٤ً ذكر الابيطليين وما فعلوا بعد صعود المسيح وما وضعوهُ من القوانين. في باريس (ع٢٤٢، و٢٤٥و٢٥١). وفي مكتبتنا الشرقية.

٥° في مكتبة اليعاقبة في القدس كتاب المعلّم والتلميذ لاقليس . ولم يُذكر معرّب هذه الكتب لعلّهُ عبدالله بن فضل الانطاكي

١١٥ ✤ اكورسيوس دي شاتونوف ✤ (Accursius de Châteauneuf) عاش في القسم الثاني من القرن السابع عشر نحو سنة ١٦٨٠ . كان راهباً كبوشياً مرسلًا في الشام . يذكر له في تاريخ الآباء الكبوشيين معجم فرنسوي عربي

١١٦ ✤ التيريوس ✤ هو ايضاً راهب كبوشي كان مرسلًا رسولياً في حلب في القرن الثامن عشر . له في مكتبة الموارنة في حلب تعريب مخاطبات الاب لويس دي أرجنتان في علم اللاهوت في جزئين عرّبهُ في حلب سنة ١٧٨٤ (راجع العدد ٨٠) ولعلّ اسمهُ التيريوس تصحيف القتيريوس او الوتيريوس

١١٧ ✤ الكسندروس اليسوعي ✤ لم نجد له ذكراً في قائمة تآليف اليسوعيين وله في مكتبتنا الشرقية نسخة من كتابه المعنون بالشذور الذهبية في التوبة المرضية تاريخها سنة ١٧٨٤ وهو شرح الزمور « ارحمني يا الله » . منهُ نسخة في مكتبة الارمن في حلب وفي مكتبة دير الشير . وهذا الكتاب نُقل اوّلًا من اللاتينية الى الارمنية بمساعي السيد ابرهيم الارمني مطران حلب الذي صار بطريركاً بعد ذلك ويروى انّ الناقل الى الارمنية اسمهُ بطرس ثمّ عرّبهُ عن الارمنية سنة ١٧٣٨ دير اكوب وهو السيد يعقوب مطران حلب ثمّ بطريرك الارمن الكاثوليك المتوفى سنة ١٧٥٣ (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦١)

١١٨ ✤ الياس الاهدني ✤ له في احد مخطوطات مكتبة باريس السريانية (Paris, Mss. Syr., n° 275) زجليات بالكرشوني في يوسف البار وفي تاريخ الموارنة كتبها سنة ١٦٠٦ الياس بن حنّا الاهدني

١١٩ ✤ الياس الغزيري ✤ كان من تلامذة المدرسة المارونية في رومية . وله في المكتبة الفاتيكانية بين المخطوطات الكرشونية (Assemani: *Bibl. Or.*, 577 (*Cod.* XXI مجموعة زجليات في وصف رومية وتلامذة المدرسة المارونية وفي البطريرك اسطفان الصفراوي كتبها سنة ١٦٦٩ . وقد حصلنا على نسخة زجلية في تلامذة الموارنة تلطف سيادة المطران عبدالله الخوري فارسلها لنا . وعمّا قليل ننشرها ان شاء الله

١٢٠ ﴿الياس الموصلي﴾ هو الخوري البغدادي ابن القس حنّا الكلداني من عائلة بيت عمّون واوّل رحّالة شرقيّ الى اميركة من السنة ١٦٦٨ الى ١٦٨٣ . وقد نشر المرحوم الاب انطون ربّاط اليسوعيّ رحلتهُ هذه الجزيلة الفائدة في السنة الثامنة من المشرق سنة ١٩٠٥ عن نسخة فريدة في مكتبة مطرانيّة السريان الكاثوليك في حلب ثمّ طبعها على حدةٍ واضاف اليها شروحاً وفهارس سنة ١٩٠٦ في مطبعتنا الكاثوليكيّة . وللالياس مذكور في النسخة المخطوطة ذاتها مختصر تاريخ افتتاح اميركة واخبار ولاتها وشعوبها طبع الاب المذكور منهُ نبذةً في بدرو الاقريطشي . ثمّ وجد له اثراً جديداً عربياً وهو مجموع صلوات لفائدة الشرقيين طُبع في رومية سنة ١٦٦٢ . ثمّ كرّر طبعهُ سنة ١٧٢٦ احد الموارنة دون ذكر جامعهِ [اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٤٠٧–٤٧٤ وفهرس المطبوعات العربيّة لشنورر Schnurrer, *Bibl. arab.*, n° 264)

١٢١ ﴿الياس بن جبرائيل الطرابلسي﴾ كان في القرن الثامن عشر . في مكتبتنا الشرقيّة كتاب تحفة البيان في حقائق الايمان وهو شرح على كتاب لساويروس بن المقفّع في قضايا الايمان في ثمانية ابواب . واسم الشارح الياس بن جبرائيل عيسى الياس الارثذكسي مذهباً والطرابلسي وطناً في نحو ١٧٠ صفحة . نسخهُ حبيب مطر سنة ١٨٦٣

١٢٢ ﴿الياس بن فخر﴾ هو الكاتب الشهير بابن فخر الطرابلسيّ الارثذكسيّ المتردّد بين الكثلكة وبين الآراء الفوتيوسية . مات في حلب نحو السنة ١٧٤٠ . صنّف وعرّب من اليونانيّة عدّة كتب : ١ً عرّب سنة ١٧١٥ كتاب الجواهر النفيسة في لوازم الكنيسة يحتوي اربعة كتب من فصول عديدة عن اسرار الكنيسة ووصايا الله والخطايا والفرائض الكنسيّة والتهنيات تأليف الراهب كير ثاوفيطوس روديتوس القبرصيّ السيناوي . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٢٧ . ونسخ اخرى في مكتبة بطريركيّة الروم في دمشق وفي مكتبة الخوري جرجس منش في حلب . ٢ً تعريب كتاب الذمّة في علم الفقه المسيحي لكير ثاوفيطوس المذكور . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً تعريب مجموع قوانين الرُسل والمجامع المقدّسة المسكونيّة والمكانيّة وقوانين الآباء عرّبهُ عن اليونانيّة مع كير سلبسطروس البطريرك الارثذكسي عن مجاميع ثاودورس بلسمون ويوحنّا زوناراس . منهُ نسخة في مكتبتنا

الشرقيّة . ٤ٌ عرّب مع القسّ انطون طمّان تاريخ اخبار الروس من الايطاليّة المنقول اليها عن اليونانيّة (النعمة ١ : ٣٠٨) . ٥ٌ له في مكتبة الثلثة الاقمار كتاب عن كلام التقدمة (Epiclèse) ينسب فيه الاستحالة الى صلاة الروح القدس . وقد ردّ عليه الشمّاس عبدالله زاخر والاب بطرس فروماج اليسوعي . ٦ٌ موعظة لعيد الميلاد ألّفها الكاهن الراهب كيرياكوس سنة ١٧٢٨ وعرّبها الياس فخر . في مكتبة الموارنة في حلب . ٧ٌ كتاب عقد الاتّحاد وتفسير الخمسة الموادّ التي بين الروم واللاتينيين لستخرجهُ من الروميّة الى العربيّة اذ كان في طرابلس متّحداً بالكنيسة الكاثوليكيّة موجود في مكتبة السريان في حلب . ٨ٌ الفرائد اللطاف المستخرج من خلاص الخطأة عرّبهُ سنة ١٦٩٧ . في مكتبة الموارنة في حلب

١٢٣ ﴿الياس﴾ الراهب الكرملتاني الحلبي كان مرسلًا في حلب في القرن السابع عشر . نقل الى العربيّة من اللغة الطليانيّة كتاب رسوم جهنم في ٢٦ فصلًا في كل فصل وصفُ صنفٍ من الخطايا والعذاب الموافق لهُ . منهُ نسخ مختلفة في بيروت في مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة الآباء الكبوشيين وفي مكاتب حلب العامّة والخاصّة . ونسخة في مكتبة القس بولس سباط تاريخها سنة ١٧٢١ (ROC., XVIII, p. 244, n° 74) . وقد طُبع في الشوير سنة ١٧٦٩ كتاب آخر غير هذا من جنسهِ اسمهُ تأمّلات جهنّم المريعة وحماقة الخطأة العظيمة عرّبهُ المعلّم يوسف الابودياكن الشهير بابن جرجس الحلبي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية

١٢٤ ﴿الياس بن مسرّة﴾ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة جميلة من « القربودي مع الاستشراريات والكاتسمات والسنكسارات والاوديّة (في ٧٥٦ صفحة) كُتب في شباط من السنة ١٨٦٧ لآدم (١٦٥٩ م) في رئاسة المطران كيريواكيم في قلاية بيروت معرّبهُ الياس بن مسرّة بن الحاج سعادة »

١٢٥ ﴿اليان﴾ جرجس . له في المكتبة الاورثذكسيّة في دمشق كتاب المصاعد العقليّة ذكرهُ الاديب عيسى افندي المعلوف في مجلّة النعمة (١ : ٢٤٢) ولم يزد عنهُ وعن صاحبهِ تعريفاً

١٢٦ ﴿اليانو﴾ الاب يوحنّا او جوان باطشتا اليسوعي سفير البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الموارنة سنة ١٥٧٨ و ١٥٨٠ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٦٨ الخ

و١٩[١٩٢١]: ١٣٨ الخ). له ١ً في مكتبة فكتور عمانويل في رومية : Guidi) (Bca Vittorio Emanuele, p. 16, n° 28 اعتقاد الامانة الارثدكسيّة للباتره (الاب) بادسطا اليسوعي نقلهُ من اللاتينيّة الى العربيّة سنة ١٨٨٨ ويوناتيّة الموافقة لسنة ١٥٧٧ م. ٢ً مصاحبة روحانيّة بين عالمين اسم الواحد الشيخ سنان والآخر احمد في رجوعهما من الكعبة نافعة لكلّ مسلم ومسلمة. هذا الكتاب طُبع في رومية في السنة ١٥٧٩ Steinschneider : *Polem. Literatur*, n° 72[b] . ٣ً كتاب التعليم المسيحيّ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٦٦) . ٤ً كتاب تفنيد اضاليل اليعاقبة والنساطرة (المشرق ص٦٧). وله عدّة رسائل مخطوطة في اللاتينيّة والايطاليّة ضمّنها اخبار رحلتهِ الى الموارنة وسفارتهِ الى الاقباط روينا قسماً منها في مجلّتنا

١٢٧ ﴿أمبرتس﴾ بطرس هوبرت الكاهن الفرنساوي المتوفّى سنة ١٧٧٩ . لهُ كتاب رواشق الافكار في اخصّ العقائد والآداب المسيحيّة نقلهُ الى العربيّة جرجس زوين. طُبع غير مرّة في مطبعتنا

١٢٨ ﴿امبروسيوس الفرانديسكو البندقي﴾ لم نقف له على تاريخ. وانّما وجدنا له في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٢١) «كتاب زهر الفضائل الملتقط من بين شوك الرذائل في ٤١ فصلاً للانبا امبروسيوس الفرانديسكو البندقيّ»

١٢٩ ﴿امير﴾ الاب يوحنّا (حبيب) اليسوعي رئيس الرسالة اليسوعيّة المتوفّى في ٦ت٢ سنة ١٦٥٣ . يُذكر له في قائمة مصنّفات الآباء اليسوعيين (Sommervogel: Bibl. de la Cie de Jésus) التآليف الآتية : ١ً كتاب التعليم المسيحي. ٢ً تفنيد القرآن . ٣ً رسالة الى احد المسلمين جواباً على اعتراضاته عن الدين المسيحي . ٤ً معجم تركيّ لاتينيّ. ٥ً تعريب كتاب المرشد المسيحي . ٦ً كتاب في العبادة للعذراء مريم . ٧ً تعريب كتاب الاب بولس دي بريّ اليسوعيّ عن العبادة للقديس يوسف . ٨ً الكمال المسيحي للكردينال ريشليو منهُ نسخة مخطوطة في دير مار شليطا بخطّ جرجس بن اقرام الباني تاريخها سنة ١٦٥١ (المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٥٥٤). ٩ً كتاب في التقويم الغريغوري . ١٠ً قوانين الاخويّات

١٣٠ ﴿انتيوخس﴾ القديس المترهّب في سيق القديس سابا توفّي نحو السنة ٦٢٠م . لهُ في مكتبة برلين (Ahlwardt. IX, 552-4, n° 10185) كتاب

الحاوي لتعاليم الاسفار المقدسة في ١٣٠ رأساً عدد صحائفه ٢٠٠ وهو منقول عن اليونانية تجده في مجموعة الآباء اليونان لمين Migne, *PP. GG.* t, 89, col.) 1415-1850)

١٣١ ﴿ انتيوخوس الفلطي ﴾ ويقال انطياخوس. كان هذا راهباً في جبل الاسود الآتوس في القرن الحادي عشر. صنّف على مثال سميّه مجموعاً آخر دعاهُ ايضاً بالحاوي الكبير وقسمهُ الى ثلثة اجزاء و ٦٣ مقالة ضمّنها تعاليم الكتاب المقدَّس والآباء والمجامع. منهُ نسخة في مكتبة باريس(Paris, *Ms.ar.*, 181)وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسختان احداهما راقية الى السنة ٦٩٨٤ للعالم (١٤٧٦ للمسيح)

١٣٢ ﴿ انثيموس ﴾مطران سكيثوبوليس(بيسان) ثمَّ بطريرك اورشليم على الروم الاورثدكس المتوفى سنة ١٨٠٨. ذُكر لهُ في مخطوطات مكتبة القبر المقدَّس للروم في اورشليم (ص ٩٢): ١ً • كتاب لاهوت للبطريرك انثيموس الفهُ في اليوناني وترجمهُ بالعربي عندما كان مطران بيسان». ٢ً كتاب الهداية القويمة الى الامانة المستقيمة في المكتبة عينها. وهذا الكتاب طُبع طبعاً جميلاً في فينَّة سنة ١٧٩٢ وفي اولهِ صورة انثيموس مؤلفه . ٣ً وكذلك طُبع لهُ في فينَّة كتاب شرح مزامير داود . سنة ١٧٩١ . من كليهما نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ٤ً وله في مكتبة القبر المقدَّس في اورشليم تعريب كتاب المسيحي الحسن العبادة (ص ٩٣)

١٣٣ ﴿انثيموس﴾ الراهب كاتب الدير الكبير في القدس الشريف. عاش في اواسط القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة القبر المقدس للروم في القدس الشريف ستَّة ميامر مخطوطة (ع ٨٩) . وانثيموس هذا هو الذي عرَّب عن اليونانيَّة كتاب البوق الانجيلي" تأليف مكاريوس الشماس معلّم مدرسة بطمس وذلك سنة ١٧٥٦. وهذا الكتاب قد اعاد ترجمتهُ كما سبق (ع ٧٦) المطران اثناسيوس مخلّع الدمشقي اذكان قساً في الاستانة سنة ١٧٨٠ ثمَّ طُبع في جزئين في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٨٨٨

١٣٤ ﴿انثيموس الصاقزلي﴾ مطران صور وصيدا الارثوذكسي" لهُ في دار البطريركيَّة في دمشق تعريب سير الآباء القديسين في تاريخ سنة ١٧٩٣ (النعمة ١ : ٢٨٠)

١٣٥ ﴿انج دي سان جوزف﴾ (Ange de St Joseph) راهب كرملي كان مرسلًا في العراق والعجم توفي سنة ١٦٦٧ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٨٣٠–٨٣٧) كان يُحسن العربيَّة الّا انَّ تآليفهُ العديدة المذكورة هناك الخطّيَّة والمطبوعة هي امّا منقولة الى اللغة الفارسيَّة كالخلاصة اللاهوتيَّة لمار توما وفصول بقراط وامّا باللغات الاوربيَّة كتاريخهِ لبلاد فارس ومعجمهِ الفارسيّ اللاتينيّ

١٣٦ ﴿انسطاسيوس السيناوي﴾ القديس رئيس طورسينا . توفي نحو السنة ٧٠٠ م . لهُ في اللغة العربيَّة : ١ً ميامر ومواعظ مختلفة في مجاميع عربيَّة للآباء في مكتبتنا الشرقيَّة . نشرنا منها ميمرهُ في الجمعة العظيمة (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٢٦٤–٢٨٠) وفي مكاتب باريس والفاتيكان ودير الشير والقبر المقدَّس (ص ١٤١–١٤٢) . ٢ً وفي مكتبة القبر المقدَّس ايضاً (ع ١٣٣) كتاب لابينا الجليل في القديسين انسطاسيوس السينائيّ يحتوي على ٨٢ مسألة عن مباحث دينيَّة شتَّى اجاب عليها جواباً مقنعاً . تاريخ النسخة سنة ١٨٤١ في دير البلمند . ٣ً وفي دير البلمند المذكور (ع ٢١١) رسائل انسطاسيوس السينائي . ٤ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة في كتاب البستان في احاديث الرهبان عدَّة احاديث منسوبة الى القديس انسطاسيوس (راجع ايضاً العدد ٢٨١ من مخطوطات مكتبة باريس)

١٣٧ ﴿انسطاسيوس الأنطاكي﴾ هو البطريرك الانطاكي انسطاسيوس الاوَّل المتوفَّى سنة ٥٩٨ او ٥٩٩ م . يوجد في مكتبة البلمند نسخة معرَّبة من كتابه تحتكون الطاكية تاريخها ٢٦ ايلول سنة ٧١٣٠ للعالم الموافقة للسنة ١٦٢٢ مسيحيَّة نقلًا عن نسخة خطّيَّة بيد البطريرك دوروثاوس الصابوني ١٤٩٨–١٥٢٦ (النعمة ١ : ١٤٤–١٤٥)

١٣٨ ﴿انسطاسيوس الرمنيتي﴾ مطران طرابلس وصور وصيداء وبيروت الارثوذكسي كان في اواخر القرن السادس عشر . لهُ في مكتبة اوبسالا (Tornberg, Mss. d'Upsala, n° 489) ردّ جواب على بابا رومية الذي ارسلهُ مع باطشتا (J. B. Eliano S. j) تلميذهِ الى البطريرك يواكيم بمدينة دمشق وصنَّفهُ تلميذهُ الاب السيد المطران كير انسطاسيوس الرمنيتي (لهُ صلة)

تَوْبة الآبق

مترجمة بتصرف بقلم الاديب جوزيف وحيد غريبه

لتحيَ فرنسا ! ليسقط البروسيان ! على برلين !

هكذا كان اولئك الجنود الشجعان يهتفون وكانت الحماسة تزدادُ في صدورهم كلّما زادَ عددهم وهم يسيرون في شوارع طروى في شمبانية ليلة ١٨ تموز سنة ١٨٧٠

اما لويس بَرْسْ فكان داخل غرفته واقفاً واجماً بينما كانت لوسي زوجتهُ واقفة على قدميه تتوسل اليه بان لا يترك وطنهُ في تلك الساعة الخطرة وهو بحاجة فيها اليه. وكان لويس يصمّ اذنيه عن توسلاتها ويغمض عينيهِ عن دموعها ويقنعها بان لا بُدَّ له من الهرب في تلك الليلة. «انّ الحرب واقعة لا محالة يا لوسي وانا لا يعني الانضمام تحت العلم. فلقد خدمتُ الجندية سبع سنوات وهذا حسبي. والان فليبذل غيري نفسه عن الوطن. وانا في هذه الليلة ساذهب الى سويسرة واشتغل وارسل لك كفايتكِ من الدراهم. ومتى تمَّ زمان وضعكِ ابعث فآخذكِ الى عندي مع المولود الجديد وطفلنا روجيه». اخيراً افلتَ نفسهُ من بين يديها ثم انحنى فوق سرير الطفل فطبع قبلةً فوق جبينه والدموع ملء عينيه ثم عانق امرأته للمرة الاخيرة وهرول نحو الباب...

بعد مضي نحو ساعتين من الزمان كنت تشاهد الظلام حالكاً في ذلك البيت.. هنا امرأة منطرحة على الحضيض تبكي وتنتحب وتصلي الى الله وعن يمينها طفلٌ سريرٌ يهتز والطفل فيه راقد لم يعِ لما جرى. هنالك بالقرب من النافذة وقف يوم ينصب فؤاد في هول ذلك الموقف المريع

مرّت ستة شهور بعد تلك الليلة ونحن في اواخر كانون الثاني سنة ١٨٧١. ففي صباح احد ايامهِ وقف سائحٌ صعلوك لدى مخزن خبزٍ حقيرٍ في احدى قرى سويسرة التي على الحدود الفرنسوية وكانت يد التعيس في جيبه وبها قطعة من النيكل

استعطاها على الطريق . ولما لم يكن لديه غير تلك العشرة السنتيات وما كان ان يسدّ بها رمقه وطّن نفسه على الصيام بقية النهار . . . ما كان ذلك المسكين غير صاحبنا لويس الذي بقي شريداً أكل ذلك الزمن . وقد بلغ "برن" وزوريخ ولكن لم يستطع ان يحصّل لا شغلاً ولا دراهم . وكان السويسريون مع ما اشتهروا به من حب الاحسان وأكرام الغريب ينظرون بعين الاحتقار نحو ذلك الطريد الآبق . وبعد ما حلّ بفرنسة من المصائب والفشل تحوّل احتقارهم الى بغض وكراهية وجعلوا يرمونه بالحجارة كأنما تجاسر وقرع احد الابواب . نعم انهم كانوا يفتحون صدورهم للجنود المكسورين في الحرب ولكنهم لا يريدون بين ظهرانيهم "خونة آبقين" !

وقد حدث في تلك الليلة ان احد المزارعين بالقرب من الحدود الفرنسوية كان بحاجة الى مساعد فاستأجر الآبق لدرس حنطته . ولكن المسكين لم تكد تستقرّ قدماه بين العملة حتى ثارت من نحوه الظنون . وقد سألوه كثيراً عمّا دعاه الى الوجود بينهم بينما مواطنوه يستبسلون دفاعاً عن وطنهم فادّعى الرجل انّ فقره وعوزه منعاه عن السفر والالتحاق بفرقته . فصدّقه كثيرون وتحنّن قلبهم عليه ولمّا كانوا يحبّون فرنسة جمعوا كلّ ما كان في جيوبهم حينذاك من الدراهم وقدّموها له وحثّوه على السفر للحال

صعب على لويس في بادئ الامر ان يصدّق ما رآه من إحسانهم اليه وما كاد يضع الدراهم في جيبه حتى عوّل على السفر . والى اين ؟ الى فرنسة وطنه المحبوب !

انقبض قلبه لمّا سمع بما حلّ ببلاده من الدمار وبعد ان كان ليلة هربه يفتكر بان الوطن يمكنه الانتصار بدونه اصبح الآن يودّ لو كان له جناحان فيطير الى هناك بين المدافع وتحت النار . . . كان يتخبّط في الظلام بينما كانت الهواجس تتقاذفه والهموم تتناوبه . ما الذي حلّ بابوي زوجته وزوجته وولده ؟ يا ترى هل يراهما فيما بعد ! كيف يعيشان الان وحدهما بلا سند ولا معين بين الالمان الهمّج !

وكانت قواه تخور شيئاً فشيئاً من الجوع واذا به امام بائع خبز . فسأله كسرة خبز بعشرة سنتيات وبينما البائع يقطع له جزءاً من رغيف اسمر اللون وقعت عيناه على جريدة الكوريه ده ليون (بريد ليون) القادمة من وطنه الآبق فاختطفها من

على المائدة ليتلقّف منها الاخبار المطمئنة وما اشدّ ما كان حزنه لمّا وقعت عيناه على هذه الاسطر :

« يتقدم البروسيان بتواصل. ردَّ البرنس فريدبريك شارلس في ١٢ كانون الثاني شاتزيَ الى ما وراء ميان. وقعت خسائر فادحة بالجنرال فيدهربْ الذي كان هجم على سن كنتن في ١٦ الشهر. كان بورباكي قد قام بهجوم على بونتارليهْ ففشل والان يريد ان يبلغ سويسرة. الشائع ان جيش باريس سُحق في بونزفال وهو موشك ان يُسلِّم للعدو. يرتكب البروسيان فظائع بربرية في كل موضع وطئوه. يسيئون معاملة النساء والشيوخ. . . »

ترك برس الجريدة مكانها ولم يسأل عن كسرة الخبز بعد ان دفع ثمنها ولم يعد يشعر بتعب ولا بجوع بل جعل يعدو نحو . . . الوطن ! . . .

اجتاز تخوم سويسرة فصادف عند منحدر فيريار بقايا جيش بورباكي الذين كانوا مرتدّين الى الوراء. فتحرّكت المروّة في رأسه وانتعشت في صدره روحه الجندية القديمة وقد شاهد في مؤخر الجيش فصيلة فرنسوية تقاتل أخرى من الخيّالة البروسيان وكان الجناحان يريدان ان يصدّا العدو عن الهجوم. واذا بقائد خرّ على الحضيض يتخبّط بدمه من رصاصة اصابته في جبهته فهجم الجندي الآبق وقد شاهد جندياً بروسياً يختطف علماً مثلث الالوان فضربه في رأسه فالقاه صريعاً واسترجع منهُ الراية وجعلها تخفق في الهواء ثم كرّ نحو القائد الساقط فانتشل مسدسه من على الارض ووقف الى جانبه يصدّ عنه الطوارئ.

لم يتمكن العدو مع كثرة عدده من الثبات امام تلك الفصيلة الافرنسية فارتدّ الى الوراء وهكذا أمن جنود فرنسا في سيرهم. فنقل لويس القائدَ الصريع الى كوخ بالقرب من هناك واخذ يعتني بامره الى ان صحا من ألمه فاخبره انه القائد ده مارسلي وشكره عن صنيعه معه وتخليصه اياه. واذ راهُ بثياب مدنية اوصاه بان يختفي عن العيان لئلّا يُشتبه بامره. ثم سلّمه العلَم المخرّق وسأله ان يحفظهُ بأمنٍ لئلّا يسلبه الاعداء. فودّع الرجلُ القائدَ وذهب في سبيله. ولمّا بَعد قليلاً حفر في الارض وطمر العلَم وقبل ان يهمّ بالانصراف اذا به رأى صرّة بقرب من شجرة. ففتحها وشدّ ما كان دهشه اذ رأى ضمنها بدلةً عسكرية عرف ان صاحبها آبق نظيره. فتصوّر اذ ذاك فظاعة جرمهِ فقال في نفسهِ: لقد كفّرتُ بعض التكفير فقط عن اثمي فلأقومنّ بالواجب حتى النهاية ولاموتنّ في سبيل الوطن ولكن ليس بثياب مدني بل بثياب

جندي حقيقي. فلبس البدلة وسار في طريقه. لكنَّه حينذاك اخذ يشعر بشدة التعب وقد اثَّر فيه الجوع والعطش مع البرد فسقط فوق الثلج مغشيًّا عليه ...

مرَّ من هناك زرَّاع مسافر فرآه على تلك الحالة فحمله في عجلته وذهب به الى بزانسون ومن هناك نقلته عجلةٌ الى المستشفى العسكري في ديجون. وكانت هذه المدينة بين يدي العدو منذ غادرها گريبلدي لكنَّ محافظها الافرنسي كان باقيًا في وظيفته مستلمًا ادارتهُ تحت المراقبة البروسية. فلما صحا برُس من غشيانه اخذوه الى غرفة الاستنطاق. ولم يعرفوا كيف يؤوِّلون وجود ذلك الجندي ببزَّته الرسمية في ذلك المحل بعيدًا عن فرقته العسكرية. فصرخ البروسيان: جاسوس!. وقد ادرك هو حراجة موقفهِ فلم يُجب على ما القوه عليه من الاسئلة وعليه زُجوه في سجن مظلم

٢

أما ما كان من لوسي وروجير فقد كانا في شقاء عظيم. اذ توالت الايام وتعاقبت الاسابيع وانقضت الشهور والدراهم التي وعد لويس بارسالها لم تصل بل انَّ اخبارهُ كانت مقطوعة بالمرَّة. وقد التزمت المرأة لتعول طفلها ونفسها ان تشتغل مدَّةً في احد المعامل. ولكن لم يمضِ الَّا زمن وجيز حتى أُقفلت كافة المصانع لوقوف دواليب الاشغال ولقرب وصول العدو. فاشتدت وطأة الحزن على المسكينة واخذت قواها بالانحطاط مما اشار الى دنوّ اجلها. فنقلتها راهبات المحبَّة الى مستشفاهنَّ واعتنينَ بامرها وقد تمَّت ايام وضعها فولدت ابنةً عندها في ساعة ميلادها ودعوها مادلين. ولم تستطع الام المسكينة ان تضمَّها الى صدرها اكثر من مرَّةٍ واحدة لأنَّ داعي ربها ناداها في تلك الليلة ولم ترَ بدًّا من اجابته ...

كان المأتم خارجًا من المستشفى بغاية البساطة لا اكاليل زهور تغطي النعش ولا احد الاقارب يرافقه فعاين ذلك رجلٌ من نافذةٍ في المستشفى نفسهِ فتأسَّفَ لحالة تلك الراحلة وقد سأل الراهبة عن اسم الميتة فقالت له: هي امرأة مسكينة في ربيع عمرها تُدعى لوسي برُس ماتت غمًّا وقهرًا لان زوجها كان من آبقي الوطن. فلطم الرجل على رأسهِ وقال: أماتت اذًا وا أسفاه!.. وانقلب فوق سريره مغشيًّا عليه ..

كان صاحبنا لويس نفسه الذي هرب في ليلة مظلمة من سجن ديجون. وكان يختفي نهارًا ويزحف على بطنه ليلًا الى ان بلغ طرزوي بوطنهُ فقصد بيتهُ فرآهُ قاعًا صفصفًا

تتعب فيه القربان .. وقد اقتتل هو وأحد الجنود الروسيان وسيق الى للمحاكمة فجلد خمسة وعشرين جلدة بسياط من الفولاذ على كتفيه العريانتين الامر الذي كاد يقضي على حياته واستلزم تطبيبه في مستشفى. وهكذا ساقته التقادير الى غرفة ملاصقة للغرفة التي كانت تتقلّب فيها زوجته المسكينة على سرير النزاع فعاين جنازتها

٣

عن ستروغ ، سويسرة في ١ اذار سنة ١٨٩٢

الى الكولونيل ده مارسلي ، كولونيل الفرقة الاجنبية

سيدي . . . اريد الانضمام في سلك جيشكم لاخدم فرنسة . انا طويل القامة ، قوي البنية ، لي من العمر ثلثة وعشرون عاماً . . .

روجير ابن لويس

عن ستروغ ، سويسرا في ١ اذار سنة ١٨٩٢

الى الكولونيل ده مارسلي ، كولونيل الفرقة الاجنبية

سيدي . . أتذكر هضبة بوراك وقائداً من جيش بورباكي سلّم لاحد المارة علَمهُ المثلث الالوان ؟ لقد سمعتُ بأسمك ، سيدي الكولونيل ، فافتكرت انك انت نفسك ذلك القائد. وعليه اقول : كان ذلك الرجل الذي خلّصك وخلّص العلم آبقاً من جيشهِ ثم عائداً الى وطنهِ نادماً . وقد قضى هذه العشرين سنة عائشاً منفياً كئيباً تعيساً . واليوم يكتب لك ابنه للانضمام في فرقتك لخدمة الجيش الفرنسوي فاقبله عندك ايها الكولونيل وفاء بالعهد القديم

"وان اردت ان تعرف ما الذي حلَّ بي من يوم تركتُك في ذلك الكوخ . فقد عدتُ الى فرنسا وبلغتُ مدينتي بالرغم من كل ما اعترضني من المخاطر . فشاهدتُ وفاة امرأتي وقد خشيت المثول في الديوان الحربي فعدتُ ولجأتُ الى الفرار مع ابني ذاته وقد جئتُ فاقمتُ في هذه المدينة . اما مهنتي فكنتُ دليلاً للسيّاح في اسفارهم بين الصخور وجبال سويسرة

ادخلتُ ابني مدرسة فتعلَّم الالمانية والافرنسية والانكليزية ولكنّهُ يفضّل فرنسة على الجميع ولا غرو ففي عروقه يسيل الدم الفرنسوي . وعلى حليب فرنسوي تا وعاش . وكان ولا يزال يتوق الى الذهاب الى فرنسة ولكني انا لا استطيع ، لاني اخشى العار الذي يتهددني فيما لو وضعتُ قدميَّ هناك

اما علَمُكَ فقد اصحبتُهُ في اسفاري وعلّقته كذخيرة مقدّسة في غرفتي واخفيتُ قصّتهُ عن ابني وهو هو نفسه الذي أولد في قلبِهِ هذا الحب الشديد نحو الوطن وشوّقهُ الى الاستبسال في سبيل فرنسة لارجاع مجدها الغابر . انا يوبّخني ضميري ويبكتني على خيانتي . وهو يريد ان يلم

اسمي لكني خفيتُه عنهُ حتى الان لئلَّا يعرف احد عنهُ شيئًا فيتلطَّخ اسمهُ بالعار ويفقد مستقبلهُ بسببي

ولما كانت الفرقة الاجنبية لا تسألُ المتطوعين فيها عن اصلهم ام اسمهم بل كل ما تطلب منهم ان يكونوا جنودًا بُسلاء فلهذا رضيتُ ان ينخرط ابني في سلك المتطوعين وتحت قيادتكم كنتُ أفضّل الموت على فراق وحيدي ولكن في الوقت الـذي يحتاج وطني المحبوب الى مساعدته تركتهُ يذهب بكـل طيبة خاطر واضعًا اياه تحت رحمة الله ومؤمّلًا ان ينال بِبسالتهِ وشرفه اسمًا مجيدًا يمحو العار الذي لصقَ باسمي ويكفّر عن ذنبي وينالُ لي العفو والغفران . . .

لويس بُرْس

٤

في صباح ١٣ شباط ١٨٩٥ كنتَ ترى حركةً غير اعتيادية في مينا مدينة الجزائر الافريقية : مراكب حربية ومدمّرات وجنود وأعلام ومدافع وبنادق الى غير ذلك من آلات التدمير والخراب . وكانت فرقة الجنود منظمة لدى الشاطئ بثيابها الرسمية والكولونيل ده مـارسلي يستعرض جيشه والملازم روجير يدعو جنودهُ باسمائهم . وكان روجير قد ارتقى في مدة سنتين بشجاعتهِ وحميد اخلاقه الى رتبة ملازم تحت قيادة الكولونيل ده مارسلي .

اعلن الملازم بعدة اسماء لم يعبأ بها اذ كانت من لغاتٍ مختلفة لكنَّ اسمًا واحدًا استوقفهُ ونفذ صوتهُ الى اعماق فؤادهِ . قال : « لويس ابو روجير » . واذا برجلٍ متقدم في السنّ صرخ من بين الجموع وقال : حاضر ! . فوقف الاب وابنه برهةً مبهوتَين ينظر احدهما الى الآخر لا ينطقان بكلمة . اخيرًا استظهر الابن على عواطفه وصرخ : ابتِ ما الذي اتى بك الى هنا ؟

ولدي ، من يوم انضممتَ انتَ الى هـذه الفرقة كنتُ انا اتخبَّط بين تيّارين عظيمين : لم اقوَ على فراقك انت وحيدي ولم أُرد ان اصدَّك عن خدمة وطني المحبوب وانتَ تبذُل نفسك في سبيله ففضّلت ان انضمّ انا بـذاتي الى الجيش نفسه فإمّا نموت كلانا معًا وامّا نعيش حينئذٍ سعيدين . . . (لها بقية)

مئة سنة

في خدمة الرسالات الكاثوليكية

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

سبق لنا في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٦٧٣-٦٨٨) وصف شركة انتشار الايمان وترجمة حياة منشئتها المكرَّمة پولين جاريكو الفتاة الشهمة المولودة في ليون سنة ١٧٩٩ والمنتقلة الى جوار ربّها في ٨ ك ٢ ١٧٦٢

وفي ٣ أيار من السنة الحاضرة تحتفل هذه الشركة بتذكار يوبيلها المئويّ فلا يسعنا ان نسكت عن خدمها العديدة نحو العالم باجمعه وخصوصاً نحو شرقنا العزيز

لا حاجة الى تفصيل انشاء الشركة المذكورة وبيان نظامها ونموّها بعد مقالتنا السابقة . وانّما نذكر هنا بالاجمال الاعمال العجيبة التي تمّت بفضلها

كانت الرسالات الكاثوليكيّة قد أُصيبت بضربة كادت تكون القاضية عليها بعد الثورة الفرنسويّة العظمى وانقلاب الدول بسببها ولاسيَّما بعد الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة التي كانت تخصّ نحو اربعة آلاف من ابنائها لتبشير الامم المتسكعة في ظلام الوثنيّة . فكان هبط عدد المرسلين في غرّة القرن التاسع عشر الى ٣٠٠ مرسل فقط في انحاء البلاد الاجنبيّة

فلمّا عاد السلام الى العالم في العشر الثاني من القرن التاسع عشر واحيا البابا بيوس السابع رهبانيّة مار اغناطيوس سنة ١٨١٤ وانشئت عدّة جمعيّات رهبانيّة على مثالها متّقدة بنار غيرتها لم يرَ اصحابها بدًّا من تلبية دعوته تعالى حيث يقول «اذهبوا وتلمذوا الامم كلّها»

على انّ تلك الرسالات تقتضي نفقات طائلة لمعاش المرسلين واسفارهم وسكناهم ولبناء كنائسهم ومستشفياتهم ومدارسهم ولمساعدة فقرائهم . فمن اين لها المبالغ العظيمة التي تحتاج اليها لتقوم بواجباتها؟

كان الملوك الكاثوليك يمدّون سابقاً تلك الرسالات بالمساعدات الماليّة للقيام باعمالها

الّا انّ الجمهوريّات التي قامت بعدهم قطعت عن المرسلين تلك الارزاق فلم يبقَ لسدّ تلك النفقات الّا تبرُّعات المؤمنين فألهم الله حينئذٍ الفتاة پولين جاريكو بان تجمع من عَمَلة مصنع ابيها عشر بارات في الاسبوع اعني فرنكين و ٦٠ سنتيماً في السنة فاسرعت الى اخراج هذا الفكر الى حيّز العمل فامكنها في آخر سنة ١٨١٩ ان تجمع ٢٠٠٠ فرنك ارسلتها الى جماعة الرسالات الاجنبيّة لتُنفق في مشاريعهم الرسوليّة

فكانت تلك حبّة الخردل الصغيرة اوّل بذار لشركة انتشار الايمان ورأى فيها رؤساء الكنيسة شاهداً على إصبع الله وعنايتهِ الصمدانيّة · وفي يوم عيد اكتشاف الصليب المقدّس ٣ أيار سنة ١٩٢٢ تنظّمت هذه الشركة بمساعي اثني عشر شخصاً من كاثوليك ليون كأنّ الله اراد في ذلك الموسم ان تفيض بركة صليبه المُحيي على العالم فتنبجس ينابيع جديدة من النعم الخلاصيه

والحقّ يقال انّ هذه الشركة التي قطعت اليوم هذا الشوط المئوي البعيد قد انهضت الرسالات الكاثوليكيّة من حضيضها واغنت العالم بكنوز التمدّن الانجيليّ ونشر انوار الحقائق المسيحيّة التي اتى بها على الارض ابن الله ليُنير بها سائر المخلوقات

وهذا فصل وجيز يوضح لكل ذي بصر ترقي الشركة المذكورة في ختام قرنها الاوّل · كان مجموع مدخولها كما سبق في سنتها الاولى الفي فرنك ثم لم يزل بترقٍ متواصل حتّى بلغ سنة ١٩١١ كما روينا ٧،٢٧٩،٢٦٤ فرنكاً ثمّ جاءت الحرب الكونيّة فهبط المجموع الى ٥،٥٩٢،٦٤٢ ف لكن ذلك الهبوط لم يلبث ان عاد الى الرقي فكان مدخول سنة ١٩١٨ ٨،٠٠٥،٧٠٠ ف ثم ٢٥،٢٥٣،٧٥٢ في السنة ١٩١٩ وكان لدى الشركة في السنة ١٩٢٠ ٢٠،٥١٦،٥٨٩ فرنكاً وكفى بهذه الارقام دليلاً على نجاح هذا المشروع الذي اشبه اعمال الله الحقيرة في مبادئها العظيمة في اطوارها المتوالية

أمّا مجموع ما حصلت عليه الشركة في هذه السنة المئة لانشائها فيبلغ خمسمائة مليون فرنك أُنفقت في كل اعمال المرسلين الخيريّة · ولفرنسة في هذا المجموع السهم الاوفر فانّ بنيها كالوف عادتهم بذلوا مالهم بسخاء في هذا المسعى الجليل وكاد يبلغ ما صرفوهُ دون سواهم من الدول ثلثمائة مليون فرنك

وما قولنا الآن بالآثار العجيبة التي اثمرتها تلك الملايين · واوّل ما يجب اعتباره

العدد العديد من المرسلين الذين هجروا بلادهم لينشروا في كلّ اقطار المسكونة ايمان المسيح وتعاليمهُ الخلاصيَّة وقد قلنا انَّ عددهم كان سنة ١٨٠٠ هبط لسوء احوال الزمان الى نحو ثلثمائة وهم اليوم خمسون الفاً من الرجال ما بين كهنة ورهبان . ولم يوجد راهبات في ذلك الوقت في الرسالات وهنَّ اليوم نحن خمسين الفاً ايضاً . امَّا مجموع الذين اصطبغوا بمياه المعموديَّة ومجّدوا الله وابهجوا الكنيسة بأعمالهم الصالحة فينيف على عشرين مليوناً اكتسبهم المرسلون بعرق جبينهم بل بسفك دمائهم فانّ النشرات الاسبوعيَّة التي تنشرها شركة انتشار الايمان في ٢٥ لغةً هي حافلة بأخبار جهادهم واتعابهم ووفياتهم بين اصناف العذابات بين الامم الهمجيَّة ومجاهل آسية وافريقية وجزائر اوقيانية يرحلون الى تلك البلاد القاصية لا سَنَدَ لهم من قِبَل دول العالم ولا رجاء لهم الّا في الله حاملين صليب المسيح كلوائهم مؤملين بهِ الانتصار على كلّ اعدائهم يعضدهم شعار صليب قسطنطين: « بهذه العلامة تنتصر »

وان شئت ان تقف على بعض اعمالهم فدونك مثالًا منها يثبت ما لهؤلاء الابطال من الفضل في تمجيد الله وخدمة الدين المستقيم . كانت الصين في السنة ١٨٢٢ لا يرى في كل نخومها الّا بعض العشرات من المرسلين وبضعة الوف من النصارى مشتّتين مضطهدين في اسوإ الحال . وفي الصين حاضراً ٥٢ نيابة رسوليَّة و ١٤١٧ كاهناً من الجمعيَّات الاوربيَّة ثم ٩٨٣ كاهناً وطنياً وعدد المؤمنين يُربي على المليونين ما خلا ٥٠٠،٠٠٠ من طالبي العماد المستعدّين لقبوله

كان عدد الكثلكيين في كورية واليابان في اوائل القرن التاسع عشر لا يزيد عن عشرة آلاف وهو اليوم لا يقلّ عن ١٧٠،٠٠٠ مع انَّ حرّية الدين لم تُمنح للاهلين الّا منذ ٣٠ سنة

كان الكاثوليك في الهند قبل مئة سنة نحو نصف مليون ليس لهم الّا رئيس اساقفة وثلثة اساقفة ونائبان رسوليّان يبشّرهم ٢٢ من المرسلين الاوربيين مع ٤٠٠ كاهن من ابرشيَّة غوا واليوم يبلغ عدد الكاثوليك ٢،٣٠٤،٨٠٦ وهناك ٣٦ ابرشيَّة و ٢،٣٠٠ كاهن من رهبانيَّات شتّى

وكذلك الهند الصينيَّة كان عدد الكاثوليك ٤٠٠،٠٠٠ ترهقهم انواع المصادرات والعذابات والموت . وبعد مائة سنة قد نما عددهم حتّى بلغ اربعة اضعافهِ فهم اليوم

١،٢٠٠،٠٠٠ نفس لا تأخذهم في تأدية فرائضهم الدينيّة لومة لائم

كانت افريقية المركزيّة والجنوبيّة في اوائل القرن التاسع عشر مجاهلَ لا يُسمع فيها اسم الدين النصرانيّ ويبشر اليوم في انحائها مرسلون من ٢٦ رهبانيّة من الرجال تساعدهم في اعمالهم ٢٥ رهبانيّة نسائيّة تحت ادارة ٨٥ نيابة رسوليّة وينيف عدد المتنصّرين على مليون من المؤمنين الراسخين في تعاليم الدين والمارسين لواجباته

وقس عليها جزيرة مدغسكر التي كان اهلها يجهلون تماماً الكنيسة الكاثوليكيّة قبل ثمانين سنة وهي الآن من ازهر الرسالات وارقاها بهمّة الآباء اليسوعيين واللعازريين وغيرهم من المرسلين

وما قولنا بأوقيانية وجزائرها وباوستralية وزيلندة الجديدة. فانّ اوسترالية لم تحتوِ على غير كاهنٍ واحد الى سنة ١٨٣٠ مستخفياً لمساعدة المنفيين من الارلنديين ولم يكن في كل اوسترالية ولا كنيسة واحدة . واليوم في اوسترالية وزيلندة تسعة رؤساء اساقفة و ١٩ اسقفاً و ١،٥٠٠ كاهن من الوطنيين والمرسلين يخدمون ٢،٢٠٠ كنيسة او معبد والكاثوليك يزيدون عن ١،٢٠٠،٠٠٠ مؤمن. امّا الجزائر الاوقيانيّة فيبشّر فيها المتنصّر من اهلها ٦٠٠ مرسل تحت ولاية ٢٨ نيابة او وكالة رسوليّة. وقد بلغ عدد المتنصّرين ٢٧٠،٠٠٠

وليست الكنيسة الكاثوليكيّة في اميركة الشماليّة وولاياتها المتّحدة اقلّ نمواً وازدهاراً ان لم نقل انّها اصابت قصب السبق على غيرها. فانّها في السنة ١٨٢٢ كان عدد ابرشيّاتها تسعة لكل ابرشيّة نحو ١٢ كاهناً وعدد الكاثوليك لا يتجاوز ٤٠٠،٠٠٠ . وفي الولايات المتّحدة اليوم ١٦ رئيس اساقفة و ٩٣ اسقفاً و ٢١،٦٥٠ كاهناً و ١٨،٠٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك . يُضاف اليهم في جهات كندا ثلثة ملايين غيرهم (ولم يكونوا قبل مئة سنة الّا ٥٠٠،٠٠٠) يرعاهم ٣٨ اسقفاً وبضعة آلاف من الكهنة

واوربّة نفسها تمتّعت بثمار الرسالات الكاثوليكيّة في ممالكها البروتستانيّة . فانّ في انكلترة مع بلاد الغال واسكوتلندة كان الكاثوليك ١٢٠،٠٠٠ فقط سنة ١٨٢٢ وهم يُحصون حاضراً في عدد ٢،٦٠٠،٠٠٠ اعني نحو ٢٢ ضعفاً على عددهم السابق

وكذلك هولندة ازداد فيها عدد الكاثوليك تسعة اضعاف فكانوا في السنة ١٨٢٢ ٢٥٠،٠٠٠ وهم اليوم ١،٩٥٠،٠٠٠ . وترقى عدد الكاثوليك في المانية الشمالية البروتستانية من ٦٠،٠٠٠ الى ٤٠٩،٠٠٠ . وكان الكاثوليك في اسرج ونروج مئة ليس ألا وهم اليوم ٥،١٤٧ ومثلهم كاثوليك الدانيمرك كانوا ايضاً مئة فقط وعددهم الحاضر ٨،٧٨٠

على انَّ هذا النموّ العجيب في كافة اقطار المسكونة لا بُدَّ ان تعتبر معهُ المنشآت المتعددة التي ترفقهُ كالالوف المؤلفة من الكنائس الكبرى والصغرى والمعابد والمصليات وكالعدد غير المحصى من المدارس الجامعة والكليات المختلفة والمكاتب الثانوية والابتدائية فيها الملايين من الاحداث الصبية والفتيات وكالمشروعات العلمية والفنية والصناعية من مراصد ومطابع وغير ذلك . ولاسيَّما المشروعات الخيرية كالمستشفيات والمستوصفات والمياتم والملاجئ . فانَّ لشركة الرسالات الكاثوليكية الايادي البيض في انشاء كلّ تلك الاعمال الجليلة التي يظهر فضلها على الرسالات البروتستانية كفضل الشمس على نور السراج مع انَّ مجموع ما ينفقهُ البروتستانت سنوياً على رسالاتهم ينيف على مئة مليون من الفرنكات فلا تأتي من الثار بعُشر ما تبلغهُ الكنيسة الكاثوليكية

فبارك الله في تلك الفتاة التي ألهمها الروح القدس بانشاء هذه الشركة وجازاها كل خير وامتنا الرب بنظرها قريباً مكرَّمة على هياكلنا بانتظام اسمها بين اولياء الله خاتمين هذه النبذة بتقدمة تهانئنا في هذا الموسم الجليل لرئيس شركة الرسالات الكاثوليكية وكلّ اعضاء لجنتهِ الكرام وعرّضين كاثوليك الطوائف الشرقية بان يساعدوا هذه الشركة طاقة جهدهم فينالوا حظهم من نعم ابي الانوار الذي لا يسهو عن مجازاة فلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمه

مستشرق اميركي يسوعي

الاب ولتر درام

للاب يوسف التريّب اليسوعي
معرّبة بقلم شقيقهِ الاديب امين افندي التريب صاحب جريدة الحارس

قال الاب ولتر درام لما زار الاستانة :

« مباركة هي الطبيعة البوزنطية . بل مباركون هم المتّصلون بها الماشون فيها . فما افخم القبة الجليلة فوق بناية ايا صوفيا (كنيسة صوفيا القديسة) في القسطنطينية . قبّة باسقة على قباب تعلو قباباً مضروبة على كرارس تشبه الالماس في صلابتها ولمعانها . وتحقق بسرعة البرق في الاذهان المبهوتة ما تمثّله من عظمة وجلال وبدعة في كنيسة المسيح ! هذه بعض مزاياها : عظيمة سامية ممثلة تامة قوية كرزية موحية . ان الجمال ينسكب انسكاباً على الهندسة البوزنطية . وعن تشريف هذه الصفات الشريفة بالمبدإ الذي جُعلت وفقاً عليه ينتج ما نراهُ من رحابة الصدر المدهشة وكبر القلب المحيي في خدمة الله »

فبدون ان نتوغّل في التشبيه الى ابعد من هذا القدر نقول ان كلّ من عرف الاب ولتر درام يكاد يرى اخلاقهُ موصوفة في ذلك الكلام . فقد كانت شمائلهُ عظيمة سامية ممثلة تامة قوية كرزية موحية — كواعظ ولاهوتي وخطيب ولغويّ وكاتبٍ ومستشرق . وشديدة ومحزنة كانت خسارة الكنيسة في اميركا لما انتزع الموت من بين صفوفها في كانون الاوّل الماضي هذا البطل العظيم بين ابطالها المغاوير

ولد في محيط عسكري في لوزفيل كنتكي في ٢١ ايلول سنة ١٨٧٠ وكان ابوهُ الضابط جان درامّ قد جاء في سنّ الرابعة عشرة من ارلندة ايام مجاعتها . ولما نشبت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة انخرط في سلك المتطوعين من ولاية كاليفورنية ورقي في الجيش النظامي الى رتبة ملازم ثانٍ . اما أمّهُ مرغريت فلا تزال حية مع اخوتهِ الاربعة واختهِ الوحيدة . وقد قضى ولتر ايام صباهُ في محيط عسكري متنقلاً من ميدان الى آخر . ولعلّ هذا ما انشأ فيه روح النضال الذي امتاز بهِ في كل

حياته . وتمكنت في مخايله الباكرة تأثيرات الاماكن والجماعات المتنوعة التي عاينها . لان عائلة الضابط درامّ تبعتهُ من كنتكي الى تكنسْ فشيغن فنيومكسكو فوسكنسن فنيويورك فاستشوزتس . وبعض المراكز العسكرية التي كان يحلّها كانت متباعدة مترامية حتى ان الكاهن لم يكن يطرقها الا مرة في كل ستتين . وكان ولد في سنّ السابعة اذ رأى لاوّل مرّةٍ كاهناً في بعض بطاح تكنس السحيقة . وقد عزا الى تلك المقابلة اول ميلٍ قام في نفسهِ الى اتباع هذه الدعوة . وقد لاحظ الضابط درامّ ان واحداً آخر فقط من ابنائهِ الخمسة مال الى الجندية وهو هيوك الذي بلغ الآن رتبة كولونل وقد كان في فرنسة اثناء الحرب الكبرى رئيس اركان الحرب للجيش الاول تحت قيادة الجنرال برشن

اما وسائل التعليم فكانت بالطبع ناقصة في تلك الايام المقضيَّة بين صعوبات الاسفار المتواصلة والحياة على الحدود المادية . لكنّ ولدنا كان يختلف الى اية مدرسة مكنتهُ الاحوال منها . فكان من ذلك أن عدة مدارس الآن تفاخر باسمهِ بين تلامذتها النجباء من كلية لاس فيجاس الى جامعة ماركيت الى كلية كانيزيوس في بُفلو الى كلية بوسطن . وكل هذه يديرها الآباء اليسوعيون وقد اكمل دروسهُ في بوسطن سنة ١٨٩٠ حائزاً على شهادة بكلوريوس فنون وفي ٧ ايلول من ذلك العام دخل الرهبنة اليسوعية في فريدريك من اعمال ولاية ماريلند

فقضى ثلاثة اعوام مبتدئاً يضع في دروسهِ العميقة اساساً للعلوم الواسعة التي كان في مستقبل الايام سيتحلى بها . وجرى على السياق الذي الفهُ اليسوعيون في اعداد رجالهم فأُرسل الى كلية وودستاك ماريلند لدرس الفلسفة . وبعد ان اتقنها عُهد اليهِ التعليم في كلية القديس فرنسيس كسفاريوس اليسوعية في نيويورك . ومما اتفق لهُ من النوادر ان اباهُ الضابط درامّ كان المعلم العسكري في تلك الكلية وقتئذٍ وكثيراً ما كان الضابط يضطرّ الى إحالة مُسيئي التصرُّف من التلامذة الى نجلهِ كي يؤدبهم . فالثوب الاكليريكي كان اشدّ سطوةً عليهم من الثوب العسكري . ولما نشبت الحرب الاسبانية الاميركية سنة ١٨٩٨ غادر الضابط المدرسة ملتحقاً بفرقتهِ التي ذهبت حالاً الى كوبا وفي شهر تموز حملت الانباء خبر سقوطهِ المجيد في ساحة الشرف في معركة سان جوان هلّ

وبعد تدريس عام كامل في كلية جورجتون اليسوعية أعيد مستر درام الى كلية القديس فرنسيس كسفاريوس حيث امتاز بالمقدرة التمثيلية في تعليم التلامذة كيفية الالقاء والايماء اثناء تمثيلهم روايات شكسبير. ومنها انتقل الى كلية غنزاغا اليسوعية في واشنطون العاصمة ثم عاد الى وودسطاك ليدرس اللاهوت. وفي ٢٨ حزيران من عام ١٩٠٤ سيم كاهناً فيها مع احد عشر يسوعياً آخرين بوضع يد نيافة الكردينال جيبونس رئيس اساقفة بلتيمور واحد كواكب الكثلكة اللامعين في الولايات المتحدة

وقد انصبّ الكاهن الجديد على درس رسائل القديس بولس والآباء الـذين احسنوا في شروحهم بيان الشهامة والحنان في كتابات هذا الناشر العظيم للحقائق المسيحية. واخصّهم القديس ايرونيموس ومار يوحنا فم الذهب. وكان انصبابهُ على هذه الدروس العميقة ممهداً لاحاطتهِ المدهشة بمدنتر باسرار العقيدة الكاثوليكية وتمسكهِ الشديد المبني على يقين ثابت بوديعة الايمان وحياتهِ الطاهرة النقية

وبعد سنتين من الدرس والتدريس في كلّيتَي وودسطاك وسنت اندره اون هدسن اليسوعيّتين اشار الى الاب درام رؤساؤه بان يستعد لتعليم الكتاب المقدس كعملهِ الخاص في هذه الرهبنة طول حياتهِ. وكان عليه ان يبتدئ ذلك برحلةٍ مفيدة جداً الى الشرق الادنى والاراضي المقدسة لاجل درس اللغات الشرقية

فمضى الى بيروت حيث قضى عامي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ دارساً في كلية القديس يوسف اليسوعية. فتعلم العربية والسريانية والعبرانية. وقام برحلاتٍ عديدة في جبل لبنان حتى الارز والى دمشق وخرائب تدمر والى بعلبك وحمص وحلب وتوغل في الشمال حتى طرطوس مسقط رأس القديس بولس

وقد كانت ملحوظاتهُ في تلك الرحلات عميقةً ودقيقةً بدليل تكرارهِ في كتاباتهِ وخطبه التالية من الاشارة اليها بشكل يبين سعة اطلاعه على عادات اللبنانيين والسوريين ودقة اختبارهِ لايمانهم البسيط الحيّ ولغتهم العسيرة. وقبل مغادرتهِ سوريا قضى نحو شهرين في فلسطين وذهب الى مصر فزار الاهرام وغير اماكن معتنياً في كل هذه الاقطار بجمع كل شاردة وواردة من الفوائد المتعلقة بعلم الاسفار المقدّسة. وقد كتب مرة يذكر القداس الذي تسنى له ان يتموهُ على الجلجلة في كنيسة القبر المقدس في اورشليم يوم الاربعاء من اسبوع الآلام ويصف التأثر العظيم الذي حدث له عشية

خميس الاسرار التي قضاها تحت الزيتون في بستان جتسماني

ولاجل التعمق الزائد في شؤون الكتاب المقدس ارسله رؤساؤه الى ازمير واثينا وقورنثية وقسطنطينية ومن هناك الى ايطالية · وفي رومية انعم الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر عليه بمقابلة خصوصية اهتمّ فيها إمام الاحبار بما كان الاب درام ينوي القيام به ويستمدّ له من شرح الكتب المنزلة · وباركه وبارك ذويه وكلّفه ان يحمل شكرًا خصوصيًا من لدنه الى امه التي وهبتْ للكنيسة وللرهبنة اليسوعية · وعند انصرافه ودّعهُ الاب الاقدس بهذه الكلمات: « اذكر دائمًا وجوب الوقوف بجانب عقائد الكنيسة » وقد كانت حياة الاب درام برهانًا على الوحي الذي انزلتهُ عليه هذه الوصية · ومن رومية ذهب الى إنسبروك في النمسة حيث قضى عامين يكمل دروسه في التوراة · وهناك أبرز في سنة ١٩٠٨ نذورهُ الاخيرة الرهبنية وبهذه المناسبة كتب الى احد اصدقائه يقول: « ما زلتُ منذ ١٧ عامًا ونصف انتظر بفارغ الصبر هذا اليوم يوم التضحية النهائية · ان محو انكاري يوقّفني النفس والجسد لمجد الصليب · يفعم قلبي سرورًا لا اقدر ولا اريد ان اصفهُ بالكلام المألوف · ان مجد الصليب هو لليسوعي عنوان الاتفاق المُبرم الذي يعقدهُ يوم نذره الاخير مع الكنيسة الكاثوليكية »

ثم ذهب الى سويسرة ترويحًا للنفس في العطلة السنويّة ومنها عاد الى اميركا لتدريس الكتاب المقدس واللغات الشرقية في وودسطاك

ولنذكر هنا بعض الادلّة على مقدرته الغريبة في إحراز اللغات · كانت ذاكرتهُ مدهشة · ففي سوريا تمكن بعد ستة اشهر من السفر من مكان الى آخر متكلمًا من العربية بلا عناء من ترجمان · وفي وودسطاك وجد عددًا من التلامذة الشرقيين فانتهز الفرصة لمتابعة ممارسة اللغات بواسطتهم فألف عصبة لغوية تتكلم كل يوم بلسان · وقد كتب مرةً يقول: « ان احسن اسلوب وجدتهُ للتعلم هو الاسلوب القديم القائم بالمحادثة فقد نجحتُ باستعماله في ٢٧ لغة مختلفة »

ولعلّه عنى بهذا القول التراماطيق والإعراب في كثير من هذه اللغات السبع والعشرين · او انه كان يشمل في عددها فروعًا متنوّعة للغة واحدة · لكنهُ على كل حال كان متمكنًا من اللغات الكتابيّة كالعبرانية والسريانية واللاتينية واليونانية القديمة والحديثة والعربية والآرامية والزابينية والبابلية والقبطية والسامرية · اما من

اللغات الاوربية فكان يحسن ويتقن الالمانية والفرنسوية والايطالية والاسبانية ويقرأ الفالية (الارلندية)

لكنّ محاولة الاب درام أن يحتفظ بسلطته على كل هذا الجهاز اللغوي الواسع فوق ما كان عليه من واجبات مبدّي التعلم والوعظ أجهدت قواهُ الجسديّة فضاق بها ذرعاً حتى بدا عليه الوهن في التعلم ولم يبلغ قطّ مبلغهُ السابق الذي اشتهر به في المدارس. ولما حلّ شتاء ١٩١٠ اصيب بذات الرئة لكنهُ شفي منها وأرسل الى السواحل الغربيّة لاستعادة نشاطهِ وبعد ذلك انصرف عن اللغات الى الاهتمام في شرح الكتب المنزلة والتعليم في وودسطاك

هذا مجمل ما قام بهِ في حياته اتينا عليهِ ببعض التفصيل لارشاد القراء الى كيفية التأسيس والبنيان في حياة الراهب اليسوعي بالاجمال. اما الاب درام فاذا صرفنا النظر عن نفوذهِ كواعظ وكاهن في خلال الثلاث عشرة سنة التي قضاها عاملاً في كرم الرب — وهو نفوذ كان يتزايد ويتسع سنةً عن سنة — نقول انهُ كان حتى عام ١٩١٤ معلماً يأتي بما تبرزه قريحتهُ الوقّادة بقطع النظر عن المبتدعين. وبعد ذلك بدا فيه تغيرٌ ظاهر فصار يحصر القول جديّاً الاخذ على نفسه محاربة المبتدعين وتفنيد مزاعمهم وتزييف آرائهم الباطلة أقدمَ عليه كتسم معيّن من خطة عامة مرسومة لحياته منتشة معاجلة المتون من اظهارهِ وايضاحهِ. وما نلحظهُ على الاقل انهُ في العهد الاخير من حياته عهد المحاربة والنضال كان يكثر من تكرار ما كتب وقال في العهد الاول عهد التدريس والبنيان. كان في واقع الحال عاملاً مدهشاً يتمم عظائم الامور في اقصر الاوقات. فقد ادّى نحو خمسين مقالة الى دائرة المعارف الكاثوليكية. وخمس عشرة الى دائرة المعارف الاميركية. وكتب فصولاً طويلة الى المجلات اكثرها دروس متسلسلة في التوراة وكثيراً جداً ما كان يُدعى الى القاء الخطب والوعظ والمحاضرات وادارة الرياضات الروحية. ومن عام ١٩١٢ الى ١٩٢٠ كان محرراً معاوناً في مباحث التوراة للمجلة الاكليركية الاميركية. وفي كل هذا العهد لم يُؤثر عن الاب درام انهُ تخلّى يوماً واحداً عن تدريس تلامذته في وودسطاك

اما شهرته الحقيقية فلا بدّ من اقامتها على نتائج عهده الاول. في سنة ١٩١٤ القى اول محاضراته الشهيرة في مجمع الفنون والعلوم في بروكلن عن « شاعرية

اسرائيل» وقد طُلبت منهُ اعادتها مرتين في كليف هافن وفي بوسطن. ثم دُعي ايضاً لالقاء محاضرات متتابعة مدة عامين في مجمع بروكلن الآنف الذكر في موضوع «مسيح القرن العشرين» وفي «كتب موسى الخمسة» فكانت هذه المحاضرات سبب انتشار شهرته بين الشعب الاميركي كشارح عظيم للتوراة. وابتداءً من ذلك الحين جهاده مع عناصر التساهل غير الكاثوليكية وما يُدعى «الانتقاد العالي». وكان تمكُّنهُ في علم التوراة التام وبراعتهُ في بيان حقائقها دحضاً صريحاً للتهمة القائلة ان التوراة كتاب مُغلق للكاثوليك. فاصبح اسمهُ معروفاً ومذكوراً في دوائر الكليات ومعاقلها والجمعيات العلمية العالية. اما شهرتهُ بين كاثوليك الولايات الشرقية فبلغت الاوج. وقلَّما كان يظهر على منبر الوعظ او الخطابة ما لم تكثر الملحوظات والتعليقات على اقواله حتى في الجرائد العالمية. ولذلك كانت المحافل تستدعيه للخطابة قبل عام كامل من موعد الالقاء

اما سبب تسلُّطه المظيم في خطابته على سامعيهِ فنأخذهُ من كلامهِ مرةً عن كارزة القديس بولس: «لم يكن في كلامهِ شعثٌ للعبارات. ولا تسنيق باطل للحقائق الدينيَّة. ولا سعيٌ الى ترويق الالفاظ في بيانها. ولا اهتمامٌ في القيل والقال. بل كان كل شيءٍ فيهِ صريحاً قوياً خلوصاً من القلب الى القلب»

وكان قاموس الاب درامٌ واسعاً فتسلط بهِ على اسرار الكلام والبراعة الخطابية وكان صوتهُ جهوريًّا طنَّاناً. على انهُ لم يكن يمتنع احياناً عن بعض التصنع في الالقاء. ولكن لم يكن يُخفى عن سامعيهِ اضطراره الى ذلك ولم يشكُّ احد هنيهةً في اخلاصه وبساطة مقاصده

بيد انَّ مناضلتهُ لغير الكاثوليك المتساهلين في العقائد الجوهرية ساقتهُ الى توجيه سلاحه احياناً الى معسكرنا عينهِ معارضاً لسهولة القياد التي تحدو ببعض الكاثوليك الى قبول نتائج الانتقادات بدون تدقيق والميل الى التحول عن بعض التقاليد الثابتة المقرَّرة في كتب النصرانيَّة. فهو كان شديد المحافظة والتحفُّظ الى حدِّ اننا بدون ان نبدي رأياً في خطته نضطرُّ الى التسليم بان سلوكهُ كان جدلياً حتى الغى غشاء قاتماً على بعض مدَّعيات العلماء. ونكرّر قائلة انجاثهم بمنزلة من روح الايمان

وقد اتفق معاشروهُ عموماً على انهُ عاش العيشة التي كان يعظ بها بكل اخلاص

وسلامة ضمير . فكان يشتغل بلا ملل يسهر طويلًا وينهض باكرًا ويبالغ في الاهتمام حتى باصغر الواجبات الدينية غير مكترث لاموره الشخصية ومبادرًا الى خدمة الناس ايَّانَ وجد الى ذلك سبيلًا. وقد تجلَّت مواهبهُ الخطابية الواسعة حتى في معاملاتهِ البسيطة مع اصدقائهِ فقد كان لطيف المعشر جدًّا وكريم الاخلاق حتى كان مقصدًا لعارفيه وضالَّةً منشودة لخلّانهِ

ولم يطبع الاب درام كتبًا . لكنَّ شروحاتهِ والحواشي التي علّقها على التوراة والانجيل والرسائل البولسية كانت بعدُ في سبيل الاعداد والتهيئة . وكل من عرفوه من البداية الى النهاية ولحظوا حركاتهِ وسكناتهِ يجمعون معنا على ان حياتهُ كانت كما قال في الكاتدرائية البوزنطية «قبابًا تعلو قبابًا» والقبَّة العليا التي تمثل مبناهُ العام انما كانت لنشر البرهان الثابت العلمي القوي بين الناس على الوهيَّة المسيح

هذا كان عمل الاب درام في حياتهِ . وقد صدر الامر للجندي بالوقوف نهار عيد الشكر الوطني السابق . فتوعَّك مزاجهُ بعد القاء موعظة جليلة في كنيسة مار اغناطيوس في بلتيمور مظهرًا فيها الوجهة الكاثوليكية في عيد الشكر . وقد توفاه الله بما يكاد يكون فجأة في مستشفى مار يوسف في تلك المدينة وذلك في ١٠ كانون الاول عام ١٩٢١ وهو الثاني والخمسون من حياتهِ والثاني والثلاثون في الرهبنة اليسوعية

وودسطاك . ماريلند . في ١٦ اذار ١٩٢٢

مطبوعات شرقيَّة جديدة

The Mufaḍḍaliyāt an Anthology of ancient arabian Odes compiled by al-Mufaḍḍal son of Muḥammad edited by Charles James Lyall, Vol. I, Arabic Text (pp.XXXV-٨٩٢).- Vol. II. Translation and Notes (pp. XXXI - 381). *Oxford, at the Clarendon Press*, 1918-1919.

ديوان المفضليّات مع شروحها للانباري وترجمتها الى الانكليزيّة

هذا تأليف جليل كنّا منذ ثلثين سنة نرغب في نشرهِ فجمعنا ما امكنّا من

نَسَخهِ في لندن وڤيَنَّة وليَدن ومصر . وابرزنا منهُ نُتَفاً في كتابنا شعراء النصرانيّة لولا انَّ الاشتغال تنازعتنا فصرفت فكرنا عن طبعهِ لكنَّ الله حقَّق آمالنا بما لم نحلم بهِ . فبعث لهذا العمل الخطير رجلًا ذا همَّة قعساء وعلم واسع بآداب العرب السير كارلوس يعقوب لايل من كبار المستشرقين الانكليز المعروف سابقاً بتآليفهِ المتبرة عن تاريخ العرب وآدابهم فجمع عشر نُسخ خطّية من المفضّليات وهي عبارة عن مائة وثلثين قصيدة ممّا انتقاهُ فضلهُ من الشعر القديم ابو العبّاس المفضَّل بن محمَّد الضبي باغراء الخليفة ابي جعفر المنصور لتهذيب ابنهِ المهدي فعُرفت بالمفضّليات منسوبةً الى اسمِ المفضَّل . وقد تهافت عليها الادباء وعُنوا بدرسها وشرَّحها بعضهم كأحمد بن محمد المرزوقي وابي محمَّد القاسم بن محمَّد بن بشَّار الانباري . فقابل السير لايل بين هذه النُسخ واشار الى رواياتها المختلفة واضاف اليها شرح الانباري وذيَّلها بما وجدهُ في كتب الشعراء والادباء ومعاجم اللغويين المطبوعة والخطّية من الافادات اللغويَّة . ونقل القصائد في جزء ثانٍ الى الانكليزيَّة وألحق بها الفهارس المتّمة وصدَّر الجزئين بمقدّمات مفيدة لكل ما يرغب ان يعرفهُ عن هذه القصائد أولو البحث والتنقيب كما انهُ اشار الى ما يُعرف عن ناظميها . فجاء هـذا التأليف تحفةً في بابهِ . وزادهُ حسناً اتقان طبعهِ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة التي أفرغت كنانة الجهد في حُسن تمثيلهِ كما انَّ البعض من آباء كلّيتنا وقفوا على مسوَّداتهِ فشكرهم جناب السير لايل في مقدّمتهِ . وقد طال عليهِ امر نجازهِ حتَّى خاف ان يودّع الحياة قبل نهايتهِ ولاسيما اذ جاءت الحرب الكونيَّة فقطعت المواصلات بين بيروت ولندن وأُصيبت مطبعتنا بالخراب . لكنَّ الله اتاح لهُ الوقت الكافي لينتهي من عملهِ هذا الكبير وان اخترمتهُ المنون قبل ان يراهُ منشوراً بين الأُدباء . فان مات هو فأثرهُ هذا سيخلّد لهُ ذكراً لن يقوى على طمسهِ الدهر

ل. ش

Abou Yousof Ya'koub : LE LIVRE DE L'IMPÔT FONCIER, traduit et annoté par **E. Fagnan** *Paris, P. Geuthner*, 1921, *in* -12, *pp.* XV - 352. ***Prix*** 40 *fr.*

كتاب الخراج لابي يوسف يعقوب

هذا دليل جديد على همَّة الدولة الفرنسويَّة المنتدبة لتدبير شؤون بلاد الشام.

فانها بعد ان شكّلت لجنةً لنظارة العاديّات ومباشرة الحفريّات الاثريّة وقد وقفت على عدد وافر منها ارادت ايضاً ان تصرف نظرها الى نشر الآثار الادبيّة والتاريخيّة المفيدة لتعريف احوال هذه البلاد . وهذا اوّل أثر من هذا القبيل تولّى نشرهُ احد علماء المستشرقين المسيو فانيان . وذلك ترجمة فرنسويّة لكتاب الخراج لابي يعقوب يوسف قاضي بغداد على عهد الخليفة هارون الرشيد وهو من أقدم ما صنّفهُ علماء الاسلام في الخراج وما يلحق بهِ من الابحاث والمشاكل المختلفة . وقد استحسنا بالاجمال ترجمتهُ وان كنّا في بعض الامكنة نؤثر عليها ترجمة اقرب الى الاصل . ومن المعلوم انّ كتاب ابي يوسف لقدمهِ يصعب الوقوف على صحيح معانيهِ في عدّة تعابير . وممّا يستحقّ الثناء ما اضافهُ جناب الناقل من الحواشي الى ترجمتهِ ممّا يكشف عن كثير عن معمّيات الاصل

الاب ه . لامنس

W. A. Mason: A history of the art of Writing, *Macmillan C°*, 1920, 8°, 502, *pp.* 134 *illustr.*

تاريخ فنّ الكتابة

انّ عنوان هذا الكتاب لا ينطبق على مضامينهِ اذ ليس هو حقيقةً تاريخاً للكتابة ولا خلاصةً لما شاع في العالم من اصناف الكتابات . فانّ تاريخاً كهذا لا تحصرهُ عدّة مجلّدات . والحقّ يقال انّ المؤلف ضاق ذرعاً عن ايراد ما قصدهُ فهو يخصّ ربع كتابهِ لكتابات امم اميركا والمكسيك ثمّ يُفرد الربع الثاني منهُ لكتابات الصين ومصر والبابليين والحثّيين وكلٌّ يعلم ما لهذه الكتابات من عظيم الشأن . وتراهُ كذلك سكت عن كتابات جزيرة العرب الجنوبيّة كالمعينيّة والحميريّة مع كونها فرعاً معتبراً من الكتابة الفينيقيّة وهو خللٌ عظيم لأنّ بتلك الكتابات يقف الباحث على تطوّرات الكتابات الفينيقيّة . وكذلك لا نعلم كيف سها المؤلف عن ذكر الكتابة المكتشفة حديثاً في شبه جزيرة سينا (cft. Journal of Egyptian Archæology. Vol. III) ومنها يستفاد اشتقاق الكتابة الفينيقيّة من الكتابة المصريّة لا من كتابة اقريطش . على أنّنا لا ننكر ما يحتويهِ الكتاب من الفوائد عن كتابات الاميركيّة ونشير اليهِ باعادة النظر في اصلاح ما وقع فيهِ من الاغلاط الطبعيّة(١ س . ر .

١) مثلاً ص ٤٩٤ Ecritures (sic) Aperçue de l'Origine des Diverse وص٤٩٦ Griechsichke l يريد Grieschische

Ign. Guidi. L'Arabie antéislamique, *Paris. Geuthner*, 88 *pp. in-*18, 1921

جزيرة العرب قبل الاسلام

حبّذا الكتاب صغير الحجم كبير المعنى وضعهُ في الافرنسيّة احد كبار المستشرقين الدكتور اغناطيوس غويدي . وهو يحتوي اربع محاضرات القاها هذا الاستاذ الشهير في نادي الجامعة المصريّة الحديثة النشأة وعرض فيها خلاصة احوال جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ادبياً وسياسياً وبيّن استعداد اهلها لقبول الدين الجديد . فدار المحاضرة الاولى على دول العرب في الجنوب والحجاز . والثانية على نهضتهم الادبيّة والثالثة على ترقيهم المادّي والرابعة على رقيّ الحبشة والحيريين وهو يشير في كلامهِ ما كان للنصرانيّة من النصيب في هذه الاطوار كما بيّن ذلك مدير المشرق في كتابهِ المعنون بتاريخ النصرانيّة وآدابها في عهد الجاهليّة . وقد أُعجبنا بكلام الدكتور غويدي الرائق وانشائهِ البليغ في لغةٍ ليست هي لغتهُ الوالديّة بحيث يرى القارئ بنظر واحد مجمل احوال العرب في الجاهليّة . ولا شكّ انّ هذا الكتاب لو حاول احد الكتبة تعريبهُ او استند اليهِ لتوسيع موادّهِ يصيب نجاحاً كبيراً بين اهل الشرق   س . ر .

Baron Carra de Vaux : Les Penseurs de l'Islam. I Les Souverains, l'Histoire et la Philosophie Politique — II Les Géographes, les Sciences Mathématiques et Naturelles. *Paris, P.Geuthner*, 1921, *in*-12, 385 *et* 400

المفكّرون في الاسلام

انّ في كلّ امّةٍ نوابغ يتقدّمونها ويبعثون فيها نفخةً من روحهم . فعليهم المعوَّل في قيادة بني جلدتهم ونهج طرق الحضارة والعمران لمواطنيهم . فأحبَّ البارون كارا دي ڤو احد مشاهير المستشرقين في فرنسة ان يعرّف اهل دولته بمن نالوا في الاسلام قصبة السبق في السياسة والآداب . وقد وقفنا اليوم على الجزئين الاوّلين من هذا التأليف خصَّ الاوّل منهما بكبار ملوك الاسلام ومؤرّخيه وفلاسفتهِ وضمّن الثاني تاريخ الجغرافيين والرياضيين والطبيعيين والفلكيين والاطباء . فترى من مجرَّد اسماء هذه الفصول ما حاول الكاتب وصفهُ وشرحهُ . فلعمري انّ مواضيع متعدّدة كهذه يصعب على العالم ان يوفيها حقّها من الشروح ليحيط بها القرّاء علماً من كل وجوهها

ولو شئنا لأخذنا على جناب المؤلف مآخذ شتّى لولا علمنا بأنّهُ لم يطلب من عملهِ الّا ان يقرّب اليهم هذه المعلومات ليلمّوا بها بعض الالمام وتتحرّك فيهم الرغبة الى التعمّق في هذه الدروس التاريخيّة التي لا تزال في مهدها واول نشأتها ل.ش

Dawson (V. H. W.) : Agricultural Directorate of Mesopotamia. Dates and Date Cultivation of the 'Iraq. *Part I and II, Price 10 + 5 s. net. Cambridge, Heffer and Sons*, 1921

زراعة النخيل في العراق

يقتضي زراعة النخل ماء كثير وحرارة بالغة والعراق غني بكليهما ومن ثمّ زراعته هناك متّسعة الارجاء لاسيا قريباً من شطّ العرب فترى شجره الباسقة تمتدّ على طول ١٠٨ اميال وعرض ميل على ضفّتي النهر منها ٥٢ ميلاً على ضفّة النهر الشماليّة في ملك العجم. وامّا مركز هذه الزراعة الحافلة فالبصرة. وقد وجّهت ادارة الفلاحة في العراق المنوطة بوزارة الداخليّة نظرها بعد نهاية الحرب لاسيا السنة ١٩١٩ الى التفتيش عن زراعة النخيل فدوّنت نتيجة ابحاثها في الكتاب الفريد الذي نحن بصددهِ فضمّنته مؤلفهُ المستر داوسن كلّ ما له علاقة مع النخل من حيث زراعتهِ وفوائدهِ ورُطَبهِ وتمرهِ وآفاتهِ وتجارتهِ. مع بيان معدّل محصول الاشجار وانواعها لتعريف ما يجب دفعهُ من الرسوم للحكومة عنها. فنشكر ج.ل

M. Paléologue. Le Cilice, roman, *Bibliothèque Plon, n° 36, Prix* 3

رواية المسح

هذه احدى الروايات العديدة الشائعة في زماننا الممثّلة للغرام بين امرأة تعيسة في عيشتها الزواجيّة وشابٍّ تؤمّل السعادة باقترانها بهِ وهو لاينوي الّا خدمة شهواته فيجتذبها الى حبّهِ دون ان يقوى على تحقيق نواياهُ الباطلة. وقد يعدُّ الكاتب امتناع المرأة عنهُ فضيلةً عظيمة وهيهات ان يُدعى فعلها فضيلةً بعد عدولها عن زوجها الى حبّ الغريب. ومن ثمَّ استغربنا فعل الاكادمية الفرنسويّة التي خصّت المؤلف باحدى جوائزها ج.ل

L. Hémon. Maria Chapdelaine, récit du Canada Français. *Paris, Grasset*. 1921, *Prix*. 6 / Fr 50

قصَّة ماريا شابدلين الكَنَديَّة

قد بلغ هذا الكتاب في زمن قليل طبعتهُ الاربعمائة لعظم رغبة الناس في مطالعتهِ وأمَّا علَّة هذا الرواج فلأنَّ مؤلّفهُ اخرجهُ في صورةٍ حيَّة غاية في التأثير بما اودعهُ في وصف عائلة افرنسيَّة من اهل كندا من طبقات شعبها الممتاز بالنشاط وسذاجة الحياة فتتبَّع افرادها وأحيا بوصفهِ مزايا كلّ واحد منها وقناعتهم بشغل الفلاحة مع ما يحول دونَهُ من الصعوبة لاشتداد الزمهرير في فصل شتائها الطويل . وقد استنفد جهدهُ خاصَّة في وصف شمائل فتاة تلك العائلة ماريا شابدلين التي تفانت في خدمة اهلها وسبَتْ بسجاياها الطيّبة قلب احد كبار الاغنياء. فخطبها لعلَّها ترضى بان تبدل كوخها بدارٍ فخيمة في احدى عواصم اميركا. فالفتاة شعرت بميلها اليهِ الَّا انَّها سمعت يوم وفاة والدتها بصوتٍ في قلبها يدعوها الى الثبات على اخلاق اجدادها وحبّ وطنها كندا والمحافظة على التقاليد الفرنسويَّة فنبذت اذ ذاك طلب خاطبها وفضَّلت بشهامةٍ البقاء في وطنها مهما تجدهُ فيهِ من المشقَّات الاب ل . دي بلاس

١ً كتاب تعليم التقوى للاولاد : تأليف السيّد دي سيغور (ص ٢١٧) = ٢ً كتاب التأمّلات اليوميَّة في الحقائق المسيحيَّة والاكليريكيَّة تأليف الاب شيفاسي خوري اسقفيَّة سان كلود (المجلد الثاني ص ٣٠٩) . وكلاهما تعريب القسّ مبارك ثابت الديراني اللبناني

طُبعا في مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢١ و ١٩٢٢

انَّ حضرة القس مبارك ثابت رئيس دير المخلّص في بجنين لا يزال يتاجر بوزناتهِ الخمس متاجرة العبد الامين الصالح . فانهُ وقف قلمهُ السيَّال على خدمة الدين ونشر تعاليمهِ الخلاصيَّة والدفاع عن حقائقهِ . وها هوذا اتحفنا باثرين جديدين من تعريبهِ وقد احسن في انتخابهما . فالاوَّل كتاب شهير للطيّب الذكر الاسقف دي سيغور وضعهُ لارشاد الاحداث الى التقوى منذ نعومة اظفارهم لتنطبع في قلوبهم انطباع

النقش في الحجر. وقد عهدناهُ افضل كتاب للقراءة الروحيّة في المدارس الكاثوليكيّة اذ اتّخذ المؤلف يسوع الطفل كمثال للناشئة يتقدّمها كدليل امين الى ممارسة اجلّ الفضائل في كافّة احوالها وتصرّفها مع الله والقريب ونفسها. امّا الكتاب الثاني فقد سبق لنا وصف مجلّدهِ الاوّل (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٥٥٠) وبيّنّا ما لهذا التأليف من عظم الشأن للحياة المسيحيّة. فانّ التأمّلات اليوميّة للاب شيغاني هي كخلاصة الانجيل تحتوي لكل يوم من ايام السنة بعض اعمال او اقوال او امثال السيّد المسيح تغذي النفس وتسمو بها الى اعلى مراقي السيرة الفضلى. وهذا المجلّد الثاني يحتوي ٩٨ تأمّلًا لأشهر الربيع الثلاثة من اوّل اسبوع الصوم الى ختام الزمن الفصحي وجمعة العنصرة فكنّا نودّ لو يتّخذهُ كلّ مسيحي ولاسيا كلّ كاهن وراهب كدستور حياتهِ الروحيّة وتأمّلهِ اليومي ل. ش

كتاب المحاورات الرهبانيّة للمطران جرمانوس فرحات

عُني بطبعهِ وتعليق حواشيهِ القس طانيوس شبلي

بمطبعة القديس بولس حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٢ (ص ١٨٥)

هذا احد آثار ذاك الجهبذ الفضال الذي شرف وطنهُ وملّتهُ ورهبانيّتهُ بآثرهِ العديدة المطران جرمانوس فرحات. ضمّنهُ مؤلّفهُ الشهير ثلاث عشرة محاورة في كلّ واجبات الرهبان على طريق السؤال والجواب. وقد قصد بها خصوصاً رهبانيّتهُ البلديّة وهو كان احد اركانها ومنشئيها الاوّلين فأدرك دون سواه رسومها وغايتها فأحبّ ان يدوّن معلوماتهِ في هذا الكتاب الجليل الفائدة. وقد أحسن كلّ الإحسان حضرة القس طانيوس شبلي اذ استخرج هذا الاثر في مدفنهِ فأبرزهُ الى النور واضاف اليهِ الحواشي لشرح بعض آرائهِ. وقد تعجّبنا لترك صفحة بيضاء في محاورتهِ الثامنة (ص ٨٠) عن الرؤساء. فرجعنا الى نسخة خطّيّة لنعلم ما الموجب الى حذفها فاذا فيها سؤال من العلاقات بين رؤساء الرهبانيّة ورؤساء الكهنة وكان الاولى اثبات الاصل كما وضعهُ مؤلّفهُ الطيّب الذكر. وممّا لحظناهُ في هذه المحاورات انّها وُضعت قبل اثبات الكرسي الرسولي لقوانين الرهبانيّة اللبنانيّة وفرائضها باربع سنوات ففي

كلام السيّد جرمانوس فرحات ما لا ينطبق معها . وقد اشار حضرة ناشر الكتاب الى بعضها . وهناك ايضاً اجوبة شتّى يحكم فيها المؤلف بالخطإ المميت على فاعلها وهي لا تتجاوز الخطأ العرضيّ او تحتاج الى بعض التمييز . وكذلك ينسب المؤلف الى النذريَّ الفقر والطاعة ما يختصّ فقط بفضيلتيهما وكمالها . فهذه واشياء غيرها كانت تحتاج الى بعض تعليقات . ويا حبّذا لو عُرض هذا الكتاب قبل طبعهِ على زوّار الكرسي الرسوليّ . وقد اضاف حضرة القس شبلي الى هذه المحاورات اولاً صورة الراهب الكامل ولم يُفدنا أهي للسيّد فرحات او لغيرهِ وقد أسِف على انهُ لم يجد منها نسخة كاملة . وثانياً رسالة للسيّد المذكور في رسوم وعوائد الرهبانيّة في عشرة فصول مفيدة جدًّا وهذه الرسالة كان سبق حضرة الاب شرل ابيلا ونشرها في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٧٢٢ — ٧٣٠) فنثني على همّة القس شبلي ونحثّهُ على مواصلة تفتيشهِ عن آثار رهبانيّتهِ الفاضلة وقد سرّنا انهُ عزم على نشر تراجم بعض مشاهيرها في كتاب عنوانهُ الكواكب

ل . ش

شذرات

﴿اثنان في رئاسة القديس بطرس﴾ صدرا في شهر نيسان الاول لغبطة السيد كيرووكيرلس ديمتريوس القاضي بطريرك انطاكية والاسكندريّة واورشليم وسائر المشرق . والثاني نشرهُ في هذه المجلّة حضرة الاب انطون صالحاني في عددها السابق . فمنشور غبطة البطريرك يتناول الموضوع من حيث وجههِ الكتابيّة والنطقيّة والتاريخيّة على نمط مؤثّر في العقول والقلوب . أمّا مقالة الاب انطون صالحاني فكتابيّة محضة مبنيّة على آيات الانجيل الشريف ونصوص سفر الاعمال بحيث لا يستطيع ان ينكر براهينهُ القاطعة الّا العنيد المكابر للحقّ . وقد طبعها على حدة لافادة العموم تُباع في مطبعتنا بثلثة قروش

﴿سوء تأثير مناجاة الارواح﴾ نشر المشرق في العام الماضي (١٩٢١ ٢٧٨ و٣٥٢)

مقالتين اثبت فيهما كاتباها الابوان يوسف موتجان ويوسف منّى الاخطار الناتجة عن السپيريتسم. وقد نقلت الجرائد الاجنبيّة والوطنيّة آخرًا خبر أُسرة بافاريّة مؤلّفة من احد عشر شخصاً كانوا يتعاطون مناجاة الارواح فأصيبوا جميعهم بالجنون. وبهِ تحقّق ما حذّرنا عنهُ غير مرّة بعض المتهوّسين بهذه الصناعة الخطرة اي التقرُّب من الارواح الشرّيرة لئلّا يختبروا مساوئها المختلفة فيندموا ولات ساعة ندم

﴿الحبر الاعظم واللغات الشرقيّة﴾ البابا بيوس الحادي عشر امتاز عن اسلافهِ بمعرفتهِ للّغات الشرقيّة ولا غرو فانّهُ خلف في ادارة المكتبة الامبروسيّة في ميلانو للعلّامة تشرياني الذي اشتهر بنشر الآثار السريانيّة فتقفّى آثارهُ. وممّا ينبئ بمعرفتهِ للغتنا العربيّة ما قرأناهُ حديثاً عن مساعدتهِ للمستشرق الايطالي غريفيني في نشر تأليف بعض عرب اليمن في الفقه

﴿كسوف الشمس الاخير في رأي العرفان﴾ كتبت المجلّات العلميّة فصولًا في الكسوف الاخير الذي حدث في ٢٨ آذار فظهر في بعض البلدان اكليليًّا وفي غيرها كسوفًا تامًّا رصدهُ الفلكيّون ونشروا عليهِ ملحوظاتهم وكذلك ورد ذكرهُ في مجلة «الكليّة» الاميركيّة وفي مجلّة العرفان الصيداويّة ومن غريب ما روتهُ هذه (ص٤٤٥) قولها «واسباب الكسوف كما لا يخفى حيلولة الزهرة بين الشمس والارض» فنسبت تلك الظاهرة الفلكيّة الى الزهرة باخسةً حقوق القمر وهو من الغرابة بمكان!

﴿الجائزة الماسونيّة﴾ ذكرنا في عدد ماضٍ اقتسام محفل رشيد الماسونيّ البيروتي جائزتهُ بين اثنين ممّن قدّموا لهُ المقالة التي اقترحها على العموم بخصوص ضيقة الاحوال. وقد غلب على ظنّنا انّ نائلي الجائزة من الجماعة الماسونيّة فكتب لنا احدهما من دمشق جناب الاديب توفيق ابن الياس مسعود متبرّئًا من الماسونيّة ناكرًا انتماءهُ الى جمعيّتها. فسُررنا بايضاحهِ الحقيقة وكنّا وددنا لو لم يُرسل لمحفل ماسونيّ مقالتهُ فيُعرّض بنفسهِ للتهمة بدخولهِ في شيعة محرومة من الكنيسة ويقول الكتاب ابن سيراخ (١٣ : ١) : «من لمسَ القير توسّخ» وكان الاولى بهِ ان ينشر ما كتب في احدى الجرائد العموميّة لاسيما انهُ كما قال لم يحرّر مقالتهُ طمعاً بالجائزة التي فرّقها على الفقراء. امّا حكمنا لعبدالله بك رزق الله خير فثابت يقرّ بهِ كلّ من اطّلع على مقالتهِ المنشورة في الوطن

﴿الخزعلات الماسونيّة﴾ انّ القحة التي عُرف بها الفرمسون تحملهم على ابتداع

ضروب الخزعبلات والاراجيف لترويج بضاعتهم الكاسدة . فمن ذلك ما نشرتهُ «سوريَّة الشمالية» ونقلتهُ : «الجامعة السوريَّة» عن حضور عليّ افندي ناصر الدين افتتاح محفل ماسوني في حماة «موفدًا بالوكالة عن المندوب السامي» فكذَّبت المفوضيَّة العليا هذا الخبر وانكرت كلَّ علاقة لها مع المحافل الماسونيَّة — ومن اكبر مشيّعي هذه الخزعبلات مدير «جريدة الانوار» المظلمة يوسف افندي الحاج الدّعي بالمارونيَّة وينكر قومهُ انهُ منهـا . ولا غرو فانَّ الموارنة كاثوليك والمنتمي الى الماسونيَّة محروم من الكثلكة . ولو تتبَّعنا ما ينشرهُ في كل عدد من أعداد جريدتهِ في وصف الماسونيَّة وتاريخها وغايتها مما هو والحقيقة على طرفي نقيض لضاق عنهُ «جراب الكردي» مع سعتهِ . وليس في كلامهِ شيء من مديح الماسونيَّة الَّا وقد رددنا عليهِ في كلام زعماء الماسونيَّة في كتاباتهم الرسميَّة . فما لهُ يسكت عنها فليفنّد حججنا ان امكنهُ والَّا نسباهُ الى الإفك والبهتان . وفي هذه النسبة نبشّر الكاثوليك بجحود «بعض الاحرار» للماسونيَّة في الاعياد الفصحيَّة الاخيرة . ثلثة منهم جحدوا الشيعة جهارًا في قرية الشيّاح وسلّموا لسيادة مطران طائفتهم اوراقهم الرسميَّة واوسمتهم

﴿مبلغ الماسون من التاريخ﴾ وردت نبذة في «الانوار» الماسونيَّة تنبئ بسعة معارف الماسون (ص ٨ من عددها ٩) تحت هذا العنوان «فوائد الرموز» قال فيها محرّرها يوسف افندي الحاج «عند قيامة المسيح تمثلت مريم المجدليَّة امام طيباريوس وقدَّمت لهُ بيضة مصبوغة «مشيرة بها» الى حياتنا على الارض وقيامنا في السماء » الخ . فليت شعري بأيَّة طيَّارة انتقلت مريم المجدليَّة الى رومية لتقدّم بيضتها المصبوغة لطيباريوس قيصر . ولعلَّهُ اراد بيلاطوس القريب منها . ولا عجب ان يجهل ابناء الارملة تاريخ غيرهم وهم يجهلون تاريخ عشيرتهم

ومثل ذلك ما نشرتهُ اللطائف المصوّرة المصريَّة الماسونيَّة للماسوني نقولا افندي حدَّاد في عددها الـ ٣٦٨ عن «راهب جزويتي» دعاه الاب امبروسيوس ده لاكلوش برنس ستورات » ادَّعى على قولهِ انهُ وليّ عهد ملك انكلترة : «تشرلس الثاني» وطالب اباهُ بالملك . وهي رواية مختلقة من اولها الى آخرها لا اصل لها ولا فصل . ولكن كيف يمكن الماسون ترويج بضاعتهم بغير الكذب واختلاق التاريخ الوهمي؟

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد أصحيح ما يدَّعيهِ بعض الاشخاص من اقتدارهم على اكتشاف المياه في قلب الارض وكيف يحصلون على هذه المعرفة ؟

اكتشاف المياه في قلب الارض

ج نعم انَّ ذلك مقرَّر فانَّنا عرفنا اشخاصاً لاسيما من المزاج العصبيّ كانوا اذا مرُّوا في مكان تجري مياهٌ في باطن ارضهِ شعروا بها للحال ودلُّوا عليها . وكثير منهم يتَّخذون لذلك عوداً ملتوياً يمسكونهُ باليدين فيدور عند مرورهم فوق مياه باطنة . وقد عرف العرب مثل هؤلاء في قومهم وهم يدعونهم بالقُناقن والقِنْقِن اي البصير بالماء في حفر القنيّ . على انَّ هؤلاء لا يمكنهم تعريف قدر عمق الماء وكيتهِ . ولاستنباط المياه بالنظر وسائط اخرى تجدها في مقالة حسنة للدمنهوري نشرناها في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٢٤–٣٢) عنوانها «مقالة في علم استنباط المياه» فلتراجع

س سأل احد القرَّاء ما معنى اسم البابا ومتى خُصَّ بالحبر الروماني

اسم البابا اصلهُ ومعناهُ

ج البابا لفظة يونانيَّة ([illegible]) او ([illegible]) و ([illegible]) ومعناها الاب كان النصارى يطلقونها في اجيال الكنيسة الاولى على الاساقفة والكهنة . ومنها الباباس عند الاتراك بهذا المعنى . ثمَّ خصُّوها بعدَ ذلك برؤساء الاساقفة في الاسكندريَّة ورومية الى ان شاعت بمعنى كبار الاحبار الرومانيين منذ القرن الرابع للمسيح . وقيل انَّ أصلها ([illegible]) بمعنى الجدّ او ابي الآباء فرقاً بين رئيس الكنيسة الجامعة الاسمى ورؤسائها الذين دونهُ . وجاء في تاريخ ابن بطريق وتاريخ ابن العميد انَّ الشعب كان يسمّي الاسقف اباً وكان الاسقف يدعو البطريرك اباً فقالوا يجب علينا ان نسمّي البطريرك بابا اي الجد وابا الآباء اذ كان هو اباً لابينا ل . ش